موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(١١)

البشاشة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع المكتوب لمرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

١١

البشاشة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رماح

www.mtenback.com
موقع المكتبة من مرزوق تنباك
www.mtenback.com

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج: ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

x-١٩٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١١)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

x-١٩٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١١)

موقع الشيخ مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
البشاشة لغةً	٩
البشاشة اصطلاحًا	١٠
الإسلام يدعو إلى البشاشة	١١
البشاشة في الإرث الأدبي	١٧
البشر	٢٧
بسط الوجه	٤٠
التبسم	٤٤
الترحيب	٤٨
لقاء الإخوان	٥١
فن التعامل	٥٨
بشاشة المجالس	٦٢
بشاشة المحادثة	٦٥
بشاشة السماحة	٧٠
القيمة العملية للبشاشة	٧٣
الفهارس	٧٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

البشاشة خلق رفيع، وفضيلة حميدة، وخصلة إنسانية تتفق والفطرة السليمة، وتنبع من المبادئ السامية، وهي صفة من صفات أهل الصلاح، وسمة لا تتخلف عن ذوي الألباب والعقول السليمة، كما أنها ميزة لا يجيدها كل الناس، ولا يتقن فنها إلا من جبل على الحلم والصبر والرضا والقناعة، وهي خلق لا يستغني عنه الفرد، فضلاً عن الأسرة والمجتمع ؛ لأنها مفتاح يؤدي إلى قيام علاقات حميمة، تقرب النفوس من بعض، وتؤلف بين القلوب، وتجمع ولا تفرق، وتضفي جواً من الطمأنينة وراحة البال حول صاحبها، ولاسيما إذا أضيفت إلى جملة الأخلاق الأخرى وتفاعلت معها مجتمعة في جو من الاطمئنان والاستقرار النفسي والاجتماعي. وهذا التفاعل لا ينتج تنافراً أو تضاداً بل ينتج تجاذباً وتعاضداً وتكاملاً.

والبشاشة خلق اتصف به العرب في الجاهلية وصورت بشاشتهم أشعارهم وأخبارهم وقصصهم. ولما جاء الإسلام لم ينفِ من الأخلاق الجاهلية إلا سيِّئها، مما يفرق الجماعة ويشيع العداوة بين الناس وينقص قيمة الإنسان وقدره. ولأن البشاشة خلق كريم فإن الإسلام أبقى عليها وحث على التحلي بها، وفي الأثر: «إذا اجتمع المسلمان، فتذاكرا، غفر الله لأبَشِّهما بصاحبه»[1]، وحث القرآن الكريم على مجموعة الأخلاق التي توحي بالبشاشة في وجوه الناس، كلين الجانب، وقول الإحسان، وإسداء التحية، والمجادلة بالحسنى، وعدم العبوس في وجوه الآخرين، إلى غير ذلك من لوازم البشاشة وقيمها. لذلك استمرت البشاشة و لم تندثر، وحرص على التخلق بها الناس وأعجبوا بمن أوتي حظًا منها ومن حسن الخلق.

---

[1] الزبيدي، تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، دار الجيل، التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، مادة [بشش]، ١٩٧٧م، ج١٧، ص٨٠.

www.mtenback.com

وأهمية البشاشة تنبع من كونها قيمة عملية بذاتها، وبعلاقاتها المتشابكة مع القيم الأخرى، واستمرارها مفيد في حياة الشعوب كلها، كما هو مفيد في تعامل الفرد اليومي. فهي تزرع جذور الودّ وتجني المحبة، وتقرّب بين الناس، وتيسّر مصالحهم، وتقضي حوائجهم وتعين المرء على تحمل الآخرين، وتعينه على إكرامهم والاهتمام بهم، فتتسع دائرة الصداقة، وتحل المحبة والوئام بين الناس محل العداوة والفرقة والشحناء.

والعالم اليوم يتحول إلى قرية صغيرة تربط سكانها مصالح كثيرة، وهذه المصالح تفرض أنواعًا كثيرة من العادات المختلفة، وسبلاً متعددة للتعامل الحسن المقبول الذي يعمق الترابط بين أبناء المعمورة.وما أحوجنا إلى تعزيز علاقاتنا وتقويتها مع الآخرين بما ورثناه من أخلاق حميدة وما طبع في أنفسنا من قيم عربية سامية أصيلة.

ولكل هذه الأسباب ولأسباب أخرى نجد البشاشة مطلوبة من كل الأفراد على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومهنهم، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، والأمير والأجير والعامل والوزير، وكذلك الصغير والكبير، والمريض والطبيب، والصناعي والمزارع والتاجر، والطالب والمعلّم، فهي باختصار مطلوبة من جميع الناس وفي أغلب المواقف. والبشاشة اليوم يجب أن تكون في مقدمة العلاقات البشرية كلها إذ إنها تكاد تصبح لغة السوق إلى جانب المادة..

فالمادة التي تطغى على كل علاقة وتحكم البشر وتسير أخلاقهم وفق تبادل المنافع، تكاد تقضي على الجانب الروحي لهؤلاء البشر، فلتكن البشاشة العنصر الذي يعيد التوازن للإنسان بصفائها ونقائها وخلوها من كل الشوائب المكدرة، لأنها الردّ المقابل المناسب على قسوة الحياة، فالإنسان لا تستقيم علاقاته وتواصله مع الجماد فقط، ولا يستطيع أن يتواصل مع آلة صماء مجردة من المشاعر التي يمتلكها، ولكي لا

www.mtenback.com

يتحول الإنسان إلى مثل هذه الآلة، وينسى مع الزمن أنه إنسان من لحم ودم، فإنه يجب أن يتعامل مع الآلة بطريقة أخرى، بحيث يتحكم فيها ويسيرها وفق المبادئ والأخلاق الحميدة، دون أن تؤثر فيه سلبًا وتحرفه عن الجادة، ويجب أن نبدأ بحسن اللقاء والفرح وإظهار الرضا، والتغلب على صعوبات الحياة، ولا يتم ذلك إلا بالبشاشة التي تنقل التعامل البشري إلى دفء الإنسانية، وتصل بعضنا ببعض، فنرى الوجوه مشرقة باسمة مستبشرة تهش وتبش وتتهلل، ونستخلص الحكمة من الحياة، فلا يتجهم وجه، ولا يعبس المحيا، نلقي بشاشتنا ليعكس ما في نفوسنا نحو الآخرين، نحبهم ويحبوننا، ونعاملهم كما نحب أن يعاملونا بالتي هي أحسن.

ولا غرابة بعد هذا أن ندرك سبب اهتمام علماء التربية اليوم بهذا الجانب الأخلاقي العظيم الذي أصبح منهجًا تنبني عليه المعاملات في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، حتى غدا فنًا يحتاجه كل من يريد التعامل مع الآخرين والاختلاط بهم لأي سبب، ولهذا نجد المجتمعات الحديثة توظف من أجل تعميمه علماء واختصاصيين وأموالاً كثيرة، وتنشئ من أجل تحقيقه مراكز خاصة وتعقد دورات، وتعتمد مؤلفات نافعة، كل ذلك من أجل نشر هذه الفضيلة، وتعميم التعامل بالحسنى والرفق واللين، وتغليب البشاشة على العبوس وسرعة الغضب والنفور من الناس.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

البشاشة لغة:

البشاشة من المفردات التي شاع استعمالها في معاجم اللغة ومعاجم المعاني، فالبشُّ هو اللطف في المسألة والإقبال على الإنسان، وهو أن يبتسم له ويلقاه لقاءً جميلاً[٢]، ومنه قول الشاعر:

لاَ يَعْدَمُ السَّائِلُ مِنْهُ وِقْرَا
وَقَبْلَهُ بَشَاشَةً وَبِشْرا

ومثله قول ذي الرمة:

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّا نَبَشُّ إِذَا دَنَتْ بِأَهْلِكِ مِنَّا طِيَّةٌ وَحُلُولُ

فالبشاشة علامة أوصفة، والوجه هو الذي تَظهر عليه البشاشة وهو بشاش، ورجل هشٌّ بشٌّ.

وقد انتقلت الصفة إلى الأرض فقيل أبشت الأرض، إذا التف نبتها وقيل أنبتت أول نباتها[٣] وجاء بالمال من عشّه وبشّه أي من حيث شاء[٤].

ومن الكناية ما يذكره الزمخشري: بشَّ لك فلان بخير إذا أعطاك، لأن العطاء هو البشاشة[٥]، اكرم ضيفك بوجه البشاشة ثم بالبُرمة النشَّاشة. وهذه الكناية تبين منازل العطاء حيث تكون البشاشة أول العطاء والطريق الفاتحة إليه.

---

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، مادة (بشش).

[٣] الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، معجم في اللغة والبلاغة، بيروت، مكتبة لبنان، (١٩٩٦م)، مادة (ب ش ش).

[٤] الصّغاني، الحسن محمد بن الحسن: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، راجعه: محمد مهدي علام، القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج٣، ص٤٥٥-٤٥٦، مادة (ب ش ش).

[٥] الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (ب ش ش).

www.mtenback.com

ويقارب ابن سيده المعنى دون اللفظ. فيروي عن ابن السكيت قول العرب وهي تمدح الباش الكريم: «رجل واسع الذراع واسع الخُلق والصَّدر»[٦].

ويذكر الراغب الأصفهاني البشاشة في باب السرور ويكررها في أكثر من شاهد شعري، من نحو قول الشاعر مادحًا[٧]:

فكبّرَ مَسْرُورًا وَهَشَّ فُؤَادُهُ وَبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا

البشاشة اصطلاحًا:

ولتأثير البشاشة على النفوس، فإنها تكاد تخرج بأهلها إلى عوالم أخرى من الفرحة والسرور، وتنقلهم من جو الرتابة والسأم إلى جوّ المحبة والألفة والسعادة، يقول ابن المعتز:

كَأَنَّا مِنْ بَشَاشَتِنَا ظَلَلْنَا بِيَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ

ولعظم شأن البشاشة وقيمتها الخلقية والاجتماعية، نراها تدخل في أكثر من باب من أبواب الخلق الحسن، فهي في باب (النضارة وحسن المنظر)، وترد في باب (الإشراق وتمام المحاسن)، وفي باب (الاحترام والحفاوة)، وترد في باب (الحسن وبهجة الرواء)، وفي باب (الألوان والإشراق وحسن المرأى)، وباب(المفاكهة والمزاح)، وباب (الصمت)، وفي باب (الاحتقار والجفوة)، وفي باب (ذهاب البهجة وزوال الجمال).

والبشاشة توصف بطلاقة الوجه، يقال: رجل هش بَشٌّ وبشاش طلق الوجه طيب، والبشّ فرح الصديق بالصديق عند اللقاء، قال ابن دريد: الضحك إليه والانبساط، وفي حديث علي رضي الله عنه: «إذا اجتمع المسلمان فتذاكرا غفر الله تعالى لأبشّهما بصاحبه».

---

[٦] ابن سيده، أبوالحسن، علي بن إسماعيل: المخصص، بيروت، دار الفكر، السفر الأول ص١٥٨.

[٧] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد: مختارات في اللغة والأدب والأخبار والنوادر، تحقيق: د. عمر عبدالرحمن الساريسي، عمان، مكتبة الأقصى، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ج٢، ص٦١٤.

www.mtenback.com

ومن مرادفات البشاشة البسط يقال: بسط فلانٌ سرّهُ، ومنه حديث فاطمة رضي الله عنها: «يُبسِطُني ما بَسَطَهَا» أي يسرني ما يسرّها[٨]، وإذا سُرّ انبسط وجهه واستبشر، فإطلاق البسط بمعنى السرور من كلام العرب.

ومن مستلزماتها الهشاشة: وهي الارتياح والخفة للمعروف والنشاط، يقال: هَشِشْتُ بفلان، أهش هشاشة، إذا خففت إليه وارتحت له: وأنا هشٌّ بشٌّ، فرح مسرور.

ورجل هشّ : إذا هشّ إلى إخوانه، وقال أبو عمرو : «الهشيش من يفرح إذا سئل».

الإسلام يدعو إلى البشاشة:

لم ترد لفظة بشاشة صريحة في القرآن الكريم، ولكن وردت لها دلالات ومعان مثل المعاملة بالحسنى، وحسن اللقاء. أو ردّ التحية بأفضل منها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٩].

فإفشاء السلام سنة والردُّ عليه واجب، والنص القرآني واضح يدعو إلى البشاشة في قوله: (بأحسن منها) وذلك بإضافة عبارات طيبة، أو بالابتسام والبشر والترحيب، وهذا واجب عليه أن يبسط وجهه ويتهلل وأن يهشّ ويبشّ، وإن لم يوفق إلى ردّ التحية بأحسن منها، فلا أقل من أن يردّها بمثلها، أي مشابهة؛ فالسلام يوسع دائرة التعارف بين الناس ويفتح باب التعاون بينهم مما يقويّ العلاقات والروابط، وإن حدث خلاف بين اثنين فأعرض هذا وأعرض ذاك: فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، وليس السلام المشار إليه هنا والردّ المطلوب يعني اللفظ فقط، ولكنه يتعدى الألفاظ إلى

---

[٨] رواه أحمد في مسند الكوفيين، رقم ١٨١٦٧.

[٩] سورة النساء: ٨٦.

www.mtenback.com

الكيفيات، ولكي نحقق السلام المطلوب فلابدّ أن تكون كيفية السلام متضمنة هيئة الإنسان وهو يلقيه ببشاشة وطلاقة وجه، وهيئة الذي يردّه أكثر طلاقة وسماحة.

وعليه جاءت الآية الثانية من قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[10]. ولاشك أن القول الطيب يكون كاملاً إذا صحبه البشر والبشاشة التي تقرب المرء إلى سامعه ومتلقيه وهو يبادله الطيب من القول.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[11]. والحسن لا يكون بالقول إلا أن يصحبه تعبير سليم ووجه طلق مبشرٌ بالسرور والفرح، منبسط إلى المتحدث إليه، كما أن من علامات البشاشة الدالة عليها إشراق الوجه وانطلاق أساريره وإظهار السعادة باللقاء والارتياح له.

ومثل البشاشة البشر والبشارة، وهي من علامات السرور، وقد تكرر معنى البشارة والتبشير في القرآن الكريم وجاء فيه مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[12] والبشارة لها من التعبير ما يناسب الحال الذي تأتي به إلى المبشَّر ومايكون عليه، وقد وصف الله نبيه سليمان عليه السلام وهو فرح مسرور بما سمع من قول النملة حين قالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده، فتبسم ضاحكًا من قولها إعجابًا بالقول ورضًا عنه، ودلل على ماجلب إلى نفسه من راحة لهذه العبارة التي عبرت عن عظمة سليمان وجنوده.

---

[10] سورة الحج: ٢٤.

[11] سورة البقرة: ٨٣.

[12] سورة الأحزاب: ٤٥-٤٧.

www.mtenback.com

إذن فالبشاشة تتجلى في البشر والبشارة، وفي هذا المقام مطلوبة ومحببة.

ومن علامات البشاشة نضرة الوجوه، وهذا تعبير قرآني كريم حين وصف اليوم الآخر وجزاء المحسنين الذين تشرق وجوههم بالسعادة فيه فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١٣]، هذه النظرة الحيوية يبعثها الفرح فتظهر على الوجوه وتبشر بحسن اللقاء وسعادته، وقد نُهي الإنسان عن تقطيب الوجه وعبوسه وعن إظهار الجزع والحزن، وأوضح ذلك ماجاء في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[١٤]، في قصة مشهورة هي قصة عبدالله بن أم مكتوم، وهو رجلٌ أعمى أتى النبي ﷺ وهو في أمر من أمور الدعوة فأعرض عنه وانشغل عنه بما هو فيه، فأنزل الله هذا العتاب الرقيق لنبيه عليه السلام في سورة عُرفت بهذا الاسم، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾[١٥]. وفي سبب نزولها يقول السيوطي: نزلت «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يارسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله يعرض عنه ويقبل على الآخر، فنزلت عبس وتولى.

وهي نص صريح على ألا يعمل المرء إلا ما يقربه إلى الله ويقرب الناس إليه، ويحببه بحسن الحديث ودماثة الخلق والتعبير عن ذلك بلوازمه الدالة عليه حتى يستقيم في وجدان الإنسان حبه لحسن المعشر، ويتعوّد على هذه الخصلة فتصبح عادة له وديدنًا لا يفارقه وقد صدق العرب حين قالوا: «بشرك تحفة لإخوانك»[١٦] وقد تبين من

---

[١٣] سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

[١٤] سورة عبس: ١.

[١٥] سورة عبس: ١-٢.

[١٦] الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م، ج١، ص١٢.

www.mtenback.com

هدي نبينا حسن خلقه واتباعه لأمر الله حين نهاه عن العبوس وعن الإعراض حتى إنه بعد ذلك كان كلما رأى عبدالله بن أم مكتوم بشَّ في وجهه واستقبله بكلمات رضية وقال: مرحبًا بمن عاتبني به ربي،وبسط له رداءه[١٧] وكان يقربه منه ويحسن الحديث إليه.

والبشاشة تعني الانبساط مع الناس والرفق بهم مهما كانت منزلتهم أو مكانتهم الاجتماعية أو أهميتهم في الحياة العامة، لتكون طبيعة المجتمع طبيعة لينة كريمة وتعامل أفراده حسنًا مقبولاً، وشعورهم نحو بعضهم تكسوه المحبة رداءها الجميل، وتشيع فيه روح التسامح الذي هو مطلب إنساني يود كل إنسان أن يجده وأن يعامل به، وقد نبه القرآن الكريم على حسن التعامل حتى مع أقل الناس شأنًا، كالفقراء الذين يحتاجون إلى مساعدة الناس ويسألونهم ما يسدون به رمقهم، وقلّما يهتم الناس بالتعامل معهم ، لكن القرآن يرسم لنا كيفية التعامل معهم إذا لم نستطع الإحسان إليهم فيقول تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[١٨] وقد لامس القرآن في كثير من آياته دلالات البشاشة ملامسة دقيقة وتطرق لها في نصوص واضحة صريحة، فحثنا على إفشاء السلام الذي هو من متطلبات البشاشة، وأمر بالرد على التحية بأحسن منها، كما حث على تلبية حاجات الناس واللطف معهم بالقول والفعل،وعدم إهدار كرامتهم، أو الانتقاص من قدرهم أيًّا كانوا ومهما كانت مكانتهم في المجتمع.

وقد اهتمت الأحاديث النبوية اهتمامًا كبيرًا بكل ما يوثق العرى ويقوي الروابط بين الناس، ويحدد علاقاتهم مع بعضهم، والأخلاق الحسنة هدف من أهداف الهدي النبوي، والبشاشة من أهم الأخلاق الحسنة التي يتمتع بها المرء ويحسن بها اتصاله

---

[١٧] الجلالان، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وجلال الدين بن أحمد المحلي: تفسير الجلالين، جمع أحاديثه ورتبها: الشيخ محمود إبراهيم الصمادي، دمشق، المكتبة الحديثة، ص٧٨٤.

[١٨] سورة الضحى: ١٠.

www.mtenback.com

بالناس، وقد أكدت الأحاديث النبوية على السلوك الذي يهتم بتربية الإنسان ويدعو إلى تهذيب نفسه والارتقاء بتعامله مع الناس إلى درجة عالية من ثوابت الأخلاق وركائز الفضيلة. والبشاشة ركيزة نفسية هامة بها تقوى العلاقات، والصلات بين الأفراد، وهذه الصلة ترتكز في جانبها الأهم على لين الجانب وسماحة النفس واستقلال الإرادة عند الإنسان، وما أحسن أن يتحلى المرء بحسن الأدب، فتعم خلة الأدب، وجاء الشاهد من القرآن على حسن أدبه عليه الصلاة والسلام فقال تعالى واصفًا سلوك نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[19]. وكان عليه السلام يأمر بحسن الأدب وفيما روي عنه: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[20].

ويتجلى حسن خلقه ﷺ في أمور كثيرة إلا أنَّ البشاشة والانشراح والسماح وطلاقة الوجه كان من الخلق الذي يعرفه عنه الناس ويشهدون له به.

وقد مدحه البوصيري في قصيدته المشهورة ومنها[21]:

يُريكَ على الرِّضا والسُّخْطِ وَجْهًا ... تَروقُ بهِ البشَاشَةُ والقُطُوبُ

ولنا أن نتأمل الشواهد من المأثور حول البشاشة وأهميتها وقيمتها الاجتماعية، فهي كثيرة، وفيها بيان وتوضيح لهذه الخصلة الخيّرة، وهذه القيمة الاجتماعية الهامة. ففي الأثر عن مجاهد «إذا التقى المتحابان فبَّش بعضهم إلى بعض تحاتت عنهم الخطايا، كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس»[22].

---

[19] سورة القلم: ٤.

[20] ابن ماجة، أدب٣، برقم ٣٦٧١، موسوعة الحديث الشريف، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٢٠هـ).

[21] البوصيري، محمد بن سعيد: ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٣٧.

[22] المقدسي، أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن قدامة: كتاب المتحابين في الله، تحقيق: خير الله الشريف، دمشق، دار الطباع، ط١، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٤٣. تحاتت : تناثرت وتساقطت.

www.mtenback.com

هذا القول فيه دعوة صريحة للبشاشة، وفيه عرض تشجيعي للتحلي بها، فهي تؤدي إلى الجنة وتسقط الذنوب، وتوصل إلى الغفران ومحو السيئات أيضًا،والنبي ﷺ يحث على تمثل البشاشة صراحة كما سبق، ويؤكد على دلالتها الكبرى، والبشاشة مفهوم كبير في الأثر تنضوي تحته مفهومات جزئية كلها تمت بعميق الصلة للمفهوم الكبير، وكل مفهوم يحوي أبعادًا تربوية لها تأثيراتها الاجتماعية.

فقد جاء في الحديث: «إن تبسمك في وجه أخيك يُكتب لك به صدقة، وإن إفراغك من دلوك في دلو أخيك يكتب لك به صدقة، وإماطتك الأذى عن الطريق يكتب لك به صدقة، وإن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر يُكتب لك به صدقة، وإرشادك الضال يكتب لك به صدقة»[٢٣].

وقد شهدت النصوص بأن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس تبسمًا بين أصحابه، كيف لا فهو القدوة لهم. ففي حديث ابن جزء «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ»[٢٤].

وقد وصف عليه الصلاة والسلام بأنه أجود أبش.

والأحاديث النبوية عامة تدعو المرء إلى صفات تحببه للناس، كما تدعوه إلى محبة الآخرين، وتزرع في المجتمع حصال الخير، ليكون المجتمع سليمًا من أمراض العداوات والشحناء، تسوده المحبة، ويسيطر عليه السلام، فعن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال:«إذا التقى المؤمنان فتصافحا، وحمدا الله عزّ وجل واستغفراه غفر لهما»[٢٥].

---

[٢٣] الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، باب ما جاء في خلاقة الوجه وحسن البشر، رقم ١٩٧٠.

[٢٤] المصدر السابق، باب المناقب ١٠، باب قول ابن جزء، رقم ٣٦٤١.

[٢٥] سنن أبي داود: كتاب الأدب، ١٥٢. باب في المصافحة، إعداد وتعليق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، سوريا، ط١، ١٣٩٤.

www.mtenback.com

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»[٢٦].

وفي البخاري : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[٢٧].

البشاشة في الإرث الأدبي:

يهتم الإرث الأدبي بالمظهر المعبر عن حسن اللقاء وانشراح المستقبل لمن يراه أو يلتقي به وكل هذه الأمور تستدعي البشاشة في وجوه الآخرين، لأنها ميزان المرء ومرآة نفسه، فإن أظهرت معالمه سماتها عرُف بها ودلت عليه وعلى سلوكه، فغالبًا ما يكون الفعل دليلاً على ما انطوت عليه النفس من خلق، وانعكاسًا لما في داخل النفس، أما السلوك الظاهر المتمثل في البشاشة فإنه احتكام إلى الظاهر حيث يعبر عن الباطن فتتجلى حقيقة الخلق في حسن الظاهر وسلامة الباطن. يقول ابن الرومي[٢٨]:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَصْلَ الفَتَى ... أَجِلْ لَحْظَ طَرْفِكَ فِي مَنْظَرِهْ

فَإِنْ لَمْ يَبِنْ لَكَ فَانْظُرْ إِلَى ... أَفَاعِيلِهِ فَهْيَ مِنْ جَوْهَرِهْ

نرى البشاشة عندما يسطع نور الإنسان وضياؤه، ويُشرق حُسنه وبهاؤه، ويلوح ضوؤه وسناؤه، ويحسن منظره وطلعته، نراها عندما تتم محاسنه وجماله ويترقرق في بشرته ماؤها، ويتألق في ديباجة وجهه صفاؤها، وتفيض على محياه الغضارة والنضارة، ويتشرب لونه بياضًا وحمرة، عندئذ يسطع البِشر للناظرين ويروق لبصائر المتوسمين ويسرّ قلوب الحاضرين، ويؤنس أبصار المتأملين، ويفتح أفئدة المتفكرين، ويضبط كافة العارفين، ويفرح قلوب المشاهدين، هذا البِشر تشعر به عندما يلقاك

---

[٢٦] موسوعة الحديث الشريف، جهاد ١٦٤، برقم ٣٠٣٨.

[٢٧] البخاري، أبو عبد الله محمد: صحيح البخاري، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، علم ١١، رقمه ٦٩.

[٢٨] ابن الرومي، علي بن العباس: ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهنا، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، (١٩٩١م)، ص ١٨.

www.mtenback.com

صاحبه ببر وطلاقة، ويستقبلك بهشاشة وبشاشة، فيتهلل وجهك ويسفر في حسن واستبشار وعندما يطلع عليك بمحياه يظهر لك محبة وقبولاً ومودة وترحيباً فيبدأ بالتحية والتسليم، ولايكتفي بذلك بل يبسط لك وجهه، ويمّهد لك كنفه، ويثني إليك عطفه، ويُقبل عليك وينفرد بك، ويبرك فيخصّك بما جاء به ويحفي في مسألته عن أحوالك وصالح أسبابك ومجاري أمورك، وانتظام شؤونك، واستقامة طبعك، ورفع محلك، وإكرام مثواك، وإظهار العناية بك، والتودد إليك، والمعرفة بفضلك وموقعك وموضعك ومحلك ومحاسنك ومناقبك، فيبتهج إذا استمع إليك، فما يزيده التلطف إلا حُسنًا وابتهاجًا. هذه هي البشاشة في المظهر والمخبر، والوجه والأفعال.

إن لقاء المرء الآخرين بوجه سمح باش يعكس محبته لهم، وجميل احتفائه بهم، وعلى عكس من يلقاهم وهو مقطب الحاجبين، ضيق الصدر فإنهم يحسون منه الجفاء، وعدم التودد، فتتولد لديهم الرغبة في الفرار منه، أو البعد عنه.

يقول الشاعر[٢٩]:

أَلْقَى العَدُوَّ بِوَجْهٍ لاَ قُطُوبَ بِهِ ... يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ البَشاشاتِ

ومثله قول الآخر حين عبّر عن البشاشة ببعض لوازمها، وجعلها تظهر عند حاجته إليها ولمن يستحقها من الناس، وليست البشاشة في رأيه إلا لغة يخاطب بها أصدقاءه ويمنعها عمن يكره لقاءه فيقول[٣٠]:

وَمَالِي وَجْهٌ فِي اللِّئَامِ وَلا يَدٌ ... وَلَكِنَّ وَجْهِي فِي الكِرامِ عَرِيضُ

أَهُشُّ إِذَا لاقَيْتُهُمْ وَكَأَنَّنِي ... إِذا أَنا لاقَيْتُ اللِّئَامَ مَرِيضُ

وقد يخلع الشاعر على البشاشة ما يحب من صور الحياة، أو يستوحي بها ما يريد، ويضيفها إلى ما حوله، وإن كان جماداً لا يهش ولا يفرح، فحين يرى الإنسان

---

[٢٩] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج٣، ص١٣.

[٣٠] المصدر السابق، ج٣، ص١٩.

www.mtenback.com

وطنه بعد غياب عنه وشوق إليه يتصور أن الوطن يتهلل له ويبش في وجهه، وهو جذلان بلقائه كما وصف بدوي الجبل وجه الشام[٣١]:

وَجْهُ الشَّآمِ الَّذي رَفَّتْ بَشَاشَتُهُ ... مِن النَّعِيمِ لِغَيْرِ الله مَا سَجَدا

إن حقيقة البشاشة في وجهه حين رأى تراب وطنه، ففرح بالعودة إليه، وتبسم ابتسامة اللقاء، وكأنه يصافح أرضه بما حملت من ذكريات وأسرار، وأهل وأصدقاء.

وليست البشاشة خلقًا مستقلاً، كما أنها ليست منفصلة عن مكارم الأخلاق، ولكنها لباس يزين الفضائل ومكارم الأخلاق، ووعاء جميل إذا حملت فيه خصال الخير زادها بهاء وبهجة، وإن كان لايغير حقيقتها في واقع الحال، فالجود الذي عرف عن العرب كان وعاؤه البشاشة، وقد تغنى شعراؤهم بمدحه، وجعلوا من مقدماته التبسم في وجه الضيف والتهلل عند قدومه وكثرة الترحيب به، ولقد كانوا يشيدون بمحامد الذين يجمعون بين الجود بالمال وسماحة اللقاء وبشرالاستقبال فلا يكون أحدهم جوادًا حتى يجعل البشر مقدمه في استقبال الأضياف النازلين عنده، حتى قالوا: إن البشاشة جانب من القرى، وفي ذلك قول الشاعر[٣٢]:

وَحَقُّ الذي يَنْتَابُ دَارِيَ زَائِرًا ... طَعَامٌ وَبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بِشْرُ

إذًا فالبشر يسبق القرى ويتقدم عليه، وها هو المتنبي يلح على البشر في وجه الضيف، بل إنّ ممدوحه يتميز بأخلاق الرجال الشجعان والأبطال الميامين الذين يجمعون بين التفضيل بالهدية والانشراح عند العطاء[٣٣]:

---

[٣١] بدوي الجبل، محمد بن سليمان: ديوان بدوي الجبل، بيروت، دار العودة، ط١، (١٩٧٨م)، ص١٧٣.

[٣٢] القرطبي، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، (١٩٨١م)، م١، قسم ١، ص٢٦١.

[٣٣] المتنبي، أحمد بن الحسين: شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٣، ص١٨٥.

www.mtenback.com

وَيُميتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبِيـــشُ قَبْـــلَ نَوَالِـهِ وَيُنِيـلُ قَبْـلَ سُـؤَالِهِ
إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا عَمَـدْنَ لِنَـاظِرٍ أَغْنَـاهُ مُقْبِلُهَـا عَـنِ اسْـتِعْجَالِهِ

والبشاشة واجبة على المسؤول كما هي واجبة على السائل، فالسائل كما هو معلوم الآخذ المستفيد فكان عليه أن يصون كرامته عند طلبه لحاجته ولا يقبلها إلا إذا كانت مصحوبة بطيب خاطر، فإن صحبها عبوس وانقباض تركها لصاحبها وأكرمه بترك عطائه، وإهدائه عبوسه يقول المتنبي[٣٤]:

وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِي جُـودَ عَـابِسٍ جَزَيْـتُ بِجُـودِ التَّـارِكِ الْمُتَبَسِّـمِ

فإذا كان المعطي يجود بالعطاء وهو متجهم مكفهر الوجه، فإن التارك للعطاء الذي لا يصحب بالبشر جواد لرفضه إياه، اعتزازاً بنفسه وكرامته.

وقد ترضي البشاشة ويطيب الخاطر بها حتى لو لم يتحقق وراءها شيء ذو قيمة كما قال الشاعر[٣٥]:

وَقَـدْ تُرْضِى الْبَشاشَةُ وَهْـيَ خِـبٌّ وَيُـرْوَى بِالتعلِّـةِ وَهْـيَ آلُ

وللبشاشة كما للحياء دلالة متعلقة بالماء والرواء، فقد عبرت العرب عنهما بوفرة الماء في الوجه، يقول الشاعر[٣٦]:

اسْـقِ الرَّعِيَّةَ مِنْ بَشَـاشَتِكَ الَّـتِي لَـوْ أَنَّهَـا مَـاءٌ لَكَـانَ مَسُوسَـا

وإذا كان الماء مطلبًا لكل عطشان، فالبشاشة مطلب للنفس ومورد للعين تسقى منه فتعل ويذهب ظمؤها، يقول بدوي الجبل[٣٧]:

---

[٣٤] المتنبي: شرح ديوان المتنبي، ص٤، ص٢٦٦.

[٣٥] أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان: ديوان سقط الزند، داربيروت، بيروت، ص١٨٤. والتعلة: شرب الماء، الآل: السراب.

[٣٦] أبو تمام، حبيب بن أوس: شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ/١٩٩٢م) ص١٦٦، مسوسًا: الذي يمس الغُلة فيقطعُها.

[٣٧] بدوي الجبل: الديوان، ص٢٢٥.

www.mtenback.com

تَنْهَلُ العَيْنُ مِنْ بَشَاشَةِ سَعْدٍ رِيَّهَا وَالعُيُونُ تُرْوَى وَتَصْدَى

والبشاشة في إحدى دلالاتها تعني كرم المعاملة، ويندرج تحت هذا العنوان الكبير عناوين جزئية منها الودّ، ومنها مداراة الناس، ومنها بسط الوجه، ومنها طلاقته، وقد قال أحد الحكماء: من كانت فيه خصلتان أحبّه الله : التقوى وحسن الخلق، ومن كانت فيه خصلتان أحبه جيرانه: البشاشة وكرم المعاملة.

ولو وازنّا بين هاتين العبارتين لاتضح لنا من مقابلتهما:

البشاشة من حسن الخلق، ومن كرم المعاملة ومما يؤكد ضرورة لقاء الناس بالبشاشة وضرورة معاملتهم بالحسنى قول أحد الحكماء: استشعروا السلامة للناس والبسوا لهم اللين، والقوهم بالبشاشة، وعاشروهم بالتودّد، وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع، وإن كان ما يأتون به نزراً، فإن لكل امرئ عند نفسه قدراً، فالقوهم بما يطمئنون به إليكم، وخرّجوا عقولكم بأدب كلّ زمان واجروا مع أهله على مناهجهم تقل مساويكم[٣٨].

وهذا القول يتضمن أكثر دلالات البشاشة عند اللقاء الحسن. فالسلامة واللين والودّ والحب وحسن الاستماع للمتحدث وحفظ وده، وأهم من ذلك كله التثقيف الذي يطلبه هذا الحكيم. وفي الحكمة دائما استبشار وتنوُّر فعلى الناس أن يثيروا عقولهم ويثقفوا أنفسهم لتتوافق مع عقول أهل زمانهم، وهذا يدل على أن البشاشة مطلب في كل زمان ومكان لتأثيرها في النفوس، وجاذبيتها وقربها، كما قال الشاعر[٣٩]:

---

[٣٨] ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرئاسة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٥٦.

[٣٩] النمري القرطبي:، بهجة المجالس، م١، القسم الأول، ص٢٦١.

www.mtenback.com

أَزُورُ خَلِيلِي مـا بَدَا لِـي هَشُّـهُ وَقَـابَلَنِي مِنْهُ البَشَاشَـةَ والبِشْـرُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَـشٌّ وَبَشٌّ تَرَكْـتُهُ وَلَوْ كَانَ فِي اللُّقْيَا الوِلاَيَـةُ وَاليُسْـرُ

فالإنسان يبحث عما يصون كرامته ويحفظ ماء وجهه من التبذّل، فلا يعـرض نفسه إلى المهانة، ولا يزور كثيرًا ولا يكرر الزيارة إن كـان فيهـا هـدر لكرامتـه. والإنسان لايبحث عن الأمور المادية على حساب نفسه وكرامته بل يبحث عما يسـره ويبعث البهجة في صدره وفي صدر مضيفه، والبشاشة بذلك تحمل معنىً خفيًا واجـب التحقق، يقول الشاعر[٤٠]:

ذَاكَ السُّرورُ الّذي آلَـتْ بَشَاشَـتُهُ أَلاّ يُجَاوِرَهـا فِـي مُهجَـةٍ كَبَـدُ

فالسرور يجب أن يكون خالصًا لا يشوبه الحقد والحزن والكمـد وبذلـك تتحقق البشاشة الصافية وتنتفي البشاشة المصطنعة، يقول الشاعر[٤١]:

لَقَدْ أَسْمَعَ القَـوْلُ الَّذي كَادَ كُلَّما تُذَكِّرُنِيـهِ النَّفْـسُ قَلْبِـي يُصَـدَّعُ
فَأَبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّـي بَشَـاشَةً كَـأَنِّي مَسْـرُورٌ بِمَا فِيهِ أَسْـمَعُ
وَما ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَـيْرَ أَنَّنِـي أَرَى أَنّ تَرْكَ الشَّـرِّ للشَّـرِّ أَقْطَـعُ

والذي يجلب السرور حسن الطالع وحسن الحديث فكلاهما من البشاشة، لأن حسن الطلعة يجلب الرضا للعين، وحسن الحديث يبعث الطمأنينة والسرور لأن طبائع البشر تدعو إلى أن يتخلّق المرء بالظرف والأناقة، يقول بدوي الجبل[٤٢]:

طَلْعَةٌ تُفْـرِحُ العُيُـونَ وَتَسْـبِيـ ـها وَتَغْزُو القُلُوبَ كِـبْرًا وَمَجْـدا

---

[٤٠] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٩٥.

[٤١] التوحيدي، أبو حيان بن علي بن محمد: الصداقة والصديق، شرح: علي متولي صلاح، مكتبـة الآداب، القاهرة، (١٩٧٢م)، ص١٦٧.

[٤٢] بدوي الجبل: ديوان بدوي الجبل، ص٢٢٤.

www.mtenback.com

وَحَـديثٌ كَـأَنَّه قِطَـعُ الـرَّوْ ... ضِ تَنوَّعْـنَ أُقْحُـوانًا وَوَرْدا
بِدْعَةُ الظَّرْفِ وَالأنَـاقَةِ يُرْضِيـ ... ـكَ دُعَابًا عَفًّـا وَيُرْضِيـكَ جِـدَّا

ويقول أحمد شوقي في ممدوحه[٤٣]:

تَبَسَّمَ بِالإقْبَالِ مِـنْ مِصْـرِكَ الثَّغْـرُ ... وَأَسْفَرَ لِلآمالِ مِنْ وَجْهِـكَ البِشْـرُ
تُرَتِّـلُ آيـاتِ الثَّنـاءِ بِأَلْسُـنٍ ... تَكَافَأَ في إِخْلاصِهَا السِّـرُّ وَالجَهْـرُ
إِلَى أَنْ بَدَا صُبْـحُ النَّـدَى مُتَهَلِّـلاً ... تُسايِرُهُ البُشْـرَى وَيَكْنُفُـهُ البِشْـرُ

والبشاشة تأخذ بمجامع القلوب إذا ارتاحت إلى المتحدث واطمـأنت إليـه، ورضيت به، وهي رغبة ذاتية تصل بالمحب إلى تفضيلها على احتساب أجر الجهاد، لما يجد في حديث محبوبته من السراء والبشاشة حتى إنه ليرى لو أنه قتل وهو بحضرتها لكان له أجر الشهادة. وهذه مبالغة من الشاعر، لكنها تعكس تأثير حلاوة الحديث، ولطف المتحدث، وما تتركه البشاشة بينهما من آثار حسنة. ويجد في ذلك لذته وسعادته حين يصف لحظات البشر فيمن يحب الاستماع إلى حديثه، فيقول[٤٤]:

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَـا جَمِيلُ بِغَـزْوَةٍ ... وَأَيُّ قِتَـالٍ غَـيْرَهُنَّ أُرِيـدُ
لِكُـلِّ حَدِيـثٍ بَيْنَهُـنَّ بَشَاشَـةٌ ... وَكُـلُّ قَتِيـلٍ بَيْنَهُـنَّ شَـهِيدُ

والبشاشة مرتجى كل عاشق، لكثرة ما يتكدر الود بينهم ولسرعة ما يحلّ الجفاء المصطنع، فأيام العاشقين بين سرور وحبور، والعشاق يلتذون في ذلك والبشاشة تمطر عليهم الرضا والنور. يقول بدوي الجبل[٤٥]:

---

[٤٣] الموسوعة الشوقية، جمع: إبراهيم الأبياري، دار الكاتب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ) ج٣، ص٤٥٧-٤٦١.

[٤٤] جميل بثينة، جميل بن معمر: ديوان جميل بثينة، بيروت، دار صادر، ص٤٠.

[٤٥] بدوي الجبل: ديوان بدوي الجبل، ص٢٩٢.

www.mtenback.com

بِتْنَـا صَفِيَّيْنِ لَمْ نُسْلِف قَدِيمَ هَـوىً بَشَـاشَةُ النُّورِ تُغْرِي كُلَّ مَنْ يَـرِدُ

هذا النور المتلألئ على المحبين، هو انعكاس لوجهيهما، كما يعبر طرفة بن العبد بدوره عن حسن تصرف محبوبته في التماس الطرق للقائهما، قائلاً[٤٦]:

وَأَنَّى اهْـتَدَتْ سَلْمَى وَسَائِلَ بَيْنَنَـا بَشَاشَةُ حُبٍّ باشَرَ القَلْـبَ دَاخِلُـهْ

وإذا استطاع الإنسان أن يكون بشوشًا وأخذ بالتسامح والعفو والصفح صدق فيه قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤٧].

والوجه السمح البشوش يظل حسنه وبهاؤه حتى مع تقدم العمر بصاحبه، فلو عملت السنون عملها في تغيير سحنته وشكله ولون الشعر وتغضّن البشرة، إلا أنها لن تمحو البشاشة التي هي ديدنه، ولن تغير طبعًا غُرس فيه، حتى لو تعاونت الليالي والمصائب عليه، يقول بدوي الجبل[٤٨]:

حُلْوُ الشَّمَـائِلِ لَمْ يُجْهِدْ بَشَاشَـتَهَا عِبْءُ السِّنِينَ وَلاَ أَزْرَى بِهَا الكَمَـدُ

فالشمائل الحلوة لا تذهبها السنون ولا تخترم من بشاشتها، بل إنها تزيدها إشراقًا وبشاشةً، وتظل تفيض بخيرها على الإنسان مدى الدهر.

إن تقدم السن بالمرء وطول العمر به يقوده إلى حالات من البؤس والعجز، وقد تسود الدنيا في وجهه، حينما يرى نفسه عبئًا ثقيلاً على أبنائه وأسرته، وما أسوأ أن يراهم يتذمرون من خدمته ورعايته، وهو موقف لا يحسد المرء عليه، فوجهه الباش

---

[٤٦] طرفة، ابن العبد: ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص٧٦.

[٤٧] سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

[٤٨] بدوي الجبل: ديوان بدوي الجبل ص٢٩٠.

www.mtenback.com

خانته نوائب الدهر وتصاريف الزمان حتى إن من يراه على ما آل إليه من حال لا يسره أن يراه وقد أصبح موضع الشفقة بعد أن كان مشفقًا على من حوله، وتحول من القوة إلى الضعف فلا يملك من يراه إلا أن يشفق عليه ويتحسر على أيامه السالفة، ويذكر إشراقة وجهه وبشاشة محياه إذا كان قد تعود البشاشة في شبابه، مرددًا «لله درك» أيها الإنسان الذي بدلته الليالي بحلاوة العيش مرارة، وخانته الأيام حتى أصبح لا يسره شيء في هذه الحياة. يقول النابغة الذبياني[٤٩]:

المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيـ ... ـشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّه
تَفْنَى بَشَاشَتُهُ وَيَبْـ ... ـقَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّه
وَتَخُونُهُ الأَيَّامُ حَتْـ ... ـتَّى لاَيَرَى شَيْئًا يَسُرُّه
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْـ ... ـتُ وَقَائِلٍ لله دَرُّه

فالنابغة الذبياني يخلص إلى موت البشاشة بتقادم الأيام وبفعل المصائب وكثرة الهموم، والناس في هذا يتفاوتون فبعضهم يرى أن المصائب تحتاج إلى رجال كبار يتلقونها برحابة صدر فلا تهتز عزائمهم ولا تزيدهم إلا إصرارًا على حسن التخلق بالصبر، ومواجهة النوائب بالبشاشة لا بالقنوط والانطواء، يقول الشاعر مادحًا[٥٠]:

كَأَنَّ الهَمَّ ضَيْفُكَ فَهْوَ يَلْقَى ... عَلَى القَسَمَاتِ بِشْرًا وَارْتِيَاحَا

فالهمّ والحزن والكمد والمصائب تواجه من هذا الرجل جلدًا فتروح تغزو صدره فما تزيده إلا بشرًا وبشاشة؛ ولا شك أن البشاشة مطلوبة لأنها تخفف على المرء همومه وتعينه على تحمل مصابه، ومع تطور الحياة وتعدد الاختصاصات وتنوعها فإنها

---

[٤٩] النابغة الذبياني، زياد بن معاوية: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: سيف الدين الكاتب وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، (١٩٨٩)، ص٨٨.

[٥٠] بدوي الجبل: ديوان بدوي الجبل، ص١١٧.

www.mtenback.com

مطلوبة أكثر من أي وقت مضى، ومع تعقد أمور الحياة وكثرة متطلباتها وخوض الإنسان في معتركها، فإن البشاشة هي البلسم الطبيعي الذي يقي الإنسان كثيراً من الأدواء، مثل الكآبة والقلق والاضطراب الفكري والأرق وغيرها، فالبشاشة تحقق الكثير من التوازن بين داخل النفس وخارجها، كما تتطلب الحياة شيئًا من المرونة وعدم التشنج في المواقف الصعبة، وضبط النفس وعدم التهور والاندفاع وراء حب الثأر والانتقام. فكثير من المصائب والمصاعب تُدفَع وتُتقى بالبشاشة وتجاهل نوائب الدهر وصروفه، كما يقول أبو الشيص الخزاعي[٥١]:

تَكَامَلَتْ فِيْكَ أَوْصافٌ خُصِصْتَ بَهـا ... فَكُلُّنـا بِـكَ مَسْـرُورٌ ومُغْتَبِـطُ

الَسِّـنُّ ضَاحِكَـةٌ وَالكَـفُّ مَانِحَـةٌ ... وَالنَّفْسُ واسِـعَةٌ وَالوَجْـهُ مُنْبَسِـطُ

وأبو تمام يتابع فيقول[٥٢]:

وَلَكَ الظَّرْفُ وَالمَلاحَـةُ وَالحُسْـ ... ـنُ وَطِيـبُ الأَرْدَانِ وَالأَخْـلاَقِ

ومن القولين ننتهي إلى أن البشاشة تتمثل في السن الضاحكة، وفي الوجه الوافر ماؤه، وفي الحديث الجميل، وفي المداعبة والظَّرف، وتكون في حسن المعاملة، ومداراة الناس، وفي التحبب والتودد إليهم والسرور بهم.

وتظهر البشاشة في مفردات كثيرة تجمع بين سماتها المادية وسماتها المعنوية، وتتمثل في اتصالها وتفاعلها مع أكثر القيم الأخلاقية، كما تظهر في اجتلاء العين لمنظر الباش وتفحصها له وما تخرج به هذه الحاسة من صفات تبدو على محياه.

---

[٥١] أبو الشيص الخزاعي، محمد بن عبد الله: ديوان أبي الشيص الخزاعي، صنعة: عبدالله الجبوري، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، (١٩٨٤م)، ص٨٣.

[٥٢] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٤٥٨.

www.mtenback.com

البشر:

وأول مظاهر البشاشة البشر، وهو أقرب إلى مفاهيم الناس وألصق في عاداتهم، وأسهل في تجاوبهم مع ميل الإنسان بطبعه إلى الأنس ومعاملة الآخرين بالرفق، والقرب إلى نفوسهم، ومن معاني البشر ما جاء في قول الشرباصي: «بشَّرتُه: أي أخبرته بخبرٍ سار، بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، و(استبشر) أي وجد ما يبشره من الفرح، والبشير هو المبشر، وتباشير الوجه ما يبدو من سروره. وتباشير الصبح ما يبدو من أوائله، وتباشير النخل ما يبدو من رطبه»[٥٣] ومن التأمل في هذه الدلالات نقترب من معنى البشاشة الحقيقي فهي أول ما يظهر من علامات على وجه المرء: والبِشْرُ طلاقة الوجه وبشاشته، والبشارة الخبر المفرح الذي تظهر معه طلاقة الإنسان وفرحه[٥٤].

وقد جمع العرب بين كرم اللقاء وكرم العطاء فقال الشاعر في هذا المعنى[٥٥]:

وَإِذَا مَا جِئْتَهُ تَجْتَدِيهِ خِلْتَهُ بَشَّرْتَهُ بِبِشَارَهْ

فَتَرى فِي الطَّرْفِ مِنْهُ حَيَاءً وَتَرى فِي الوَجْهِ مِنْهُ اسْتِنَارَهْ

والبشر خلق من أخلاق القرآن الكريم وفضيلة من فضائل الإسلام ـــ وجزء من هدي النبي العظيم عليه السلام، والمؤمن من شأنه أن يكون مبشّرًا بالخير، ومبشراً بدعوة الحق ومستبشراً بين الناس، فهو يحاول ما استطاع أن يكون طلق الوجه منبسط الأسارير ذاكرًا جوانب التفاؤل في هذه الحياة.

---

[٥٣] الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط٣، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ج٥، ص٧١.

[٥٤] المصدر السابق نفسه.

[٥٥] ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم: عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، م٢، ج٣-٤، ص١٥٤.

www.mtenback.com

والنظر إلى الوجه الباش يضفي عليه جمالاً و بهاءً فينعكس ذلك على محيا الناظر إليه ولكن الناس درجات في ذلك الحسن والبهاء. قال كثير عزة[٥٦]:

وَمَا نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَـــى ذِيْ بَشَاشَـــةٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْـــتِ بِـــالعَيْنِ أَمْلَـــحُ

والعرب حضّت على لزوم تخلق المرء بالبشاشة والبشر، وحرصت على ذلـــك فيما بثته في شعرها ودربت عليه ناشئتها، وأكثرت من الأمثال والحكم التي أرســـلتها عبر الزمن لتؤكد الاستفادة من تجاربهم والعمل بما رأوه صائبًا من القول وأمرت بـــه وفضلته.

يقول الشاعر[٥٧]:

اِلْقَ بِـــالبِشْرِ مَنْ لَقِيْـــتَ مِـــنَ النّـــا سِ جَمِيعـــاً وَلاقِهِـــمْ بِالطَّلاقَـــهْ

ومما جاء في هذا المعنى قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «صدر العـــاقل صندوق سره، والبشاشة حبال المودة»[٥٨].

وهذه حكمة تبين أثر البشاشة في المعاملة، إذ هي الحبل المتين الذي يحافظ على بقاء الصلة والقربى والمودة بين الأقرباء والأخلاء والأصحاب والجـــيران في المجتمـــع الواحد.

والبشر سلوك إنساني رائع، ومطلب اجتماعي محبب، ووسيلة للصلة يحترمهـــا الناس ويحبونها وقال ابن وكيع في دعوته إلى البشر[٥٩]:

---

[٥٦] كثير عزة: ديوانه، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ص٧٢.

[٥٧] قبّش: أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دمشق، مطبعة الجهاد، (د.ت) ص٢١٥.

[٥٨] محمد عبده: نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت) ص٦٨٢. وعلق شارحه بقوله: البشـــوش يصيد مودات القلوب.

[٥٩] النمري القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٥٩٨.

www.mtenback.com

لاقِ بِالبِشْرِ مَنْ لَقِيـــتَ مِـــنَ النَّـــا سِ وَعَاشِـــرْهُ بِأَحْسَـــنِ الإِنْصَـــافِ

فالبشاشة المتمثلة في البشر خصلة حسنة يُمدح بها المرء ويثاب عليها.

يقول حمّاد بن إسحاق في وصف ممدوحه[٦٠]:

فَـــتًى مِثْـــلُ صَفْوِ المَاءِ أمّـــا لِقَـــاؤُهُ فَبِشْـــرٌ وأمّـــا وَعْـــدُهُ فَجَمِيـــــلُ

وأما المنصور فيقول: «إذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة، فـــالقَهم ببشـــرٍ حسن»، وقيل في الأمثال : «حُسن البشر اكتســـاب الذّكـــر، والبشاشـــة مصيـــدة القلوب»[٦١].

فيبقى الإنسان خالدًا ذكره وإن توارى جُثمانه تحت التراب، وهذا الذكر يستمر مع الزمن، وتتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، وتحفظه الرواة وترددده ليبقى ذكرًا جميـــلاً، وأسوة تحتذى.

والبشرُ فرحة وحبور، يقدرها الناس من الشخص الذي يلقاهم باشًا طلق الوجه مبتسمًا، والبشاشة التي ينشرها بينهم ويدخلها إلى نفوسهم تبقى ذكراها خالدة، وقـــد قيل: «بشرُك تحفةٌ لإخوانك»[٦٢].

وكثير عزة يمدح الباش ويصفه بصفات رائعة فممدوحه باش مبتسم حتى لـــو تعرض لمآس ومصائب كثيرة، الابتسامة عنده مقدّمة على المعاني كلها[٦٣]:

جَمِيلُ المُحَيَّا أَبْلجُ الوَجْـــهِ وَاضِـــحٌ حَلِيْـــمٌ إِذَا مَـــا زَلْزَلَتْـــهُ الـــزَّلازِلُ

---

[٦٠] قُبّش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص٢١٦.

[٦١] الراغب الأصبهاني: أبو القاسم حسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحـــاورات الشـــعراء والبلغـــاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج١، ص٢٧٧.

[٦٢] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٢٠.

[٦٣] كثير عزة، ديوانه: ص١٥٤.

www.mtenback.com

وفي موضع آخر يصف ممدوحه[٦٤]:

غَمْرُ الـــرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّـــمَ ضَاحِكًـــا غَلَقَـــتْ لِضَحْكَتِـــهِ رِقَـــابُ المَـــالِ

والبشر مطلوب من الجواد، فهو إحدى أدوات الكرم، بل يتقدمهـــا جميعًـــا، فيحقق الأمل، ويقرب الرجاء، وينجز الأماني، يقول ابن المعتز[٦٥]:

فَتىً مُورِقًـــا بِالبِشْـــرِ قَبْـــلَ عَطَائِـــهِ يُبَارِي مُنى الرَّاجِينَ جُودًا وَإِحْسَـــانا

وأبو تمام يجعل البِشر مُقرّبًا الأمل فيتحقق عنده في بشاشة المسؤول فبشره يشبه الربيع، فكما أن الربيع يؤمل منه إلباس الخمائل ألوانًا سندسية، فكذلك الجواد الممـــدح يحقق المرجوّ منه والمؤمل فيه[٦٦]:

يُحْصَى مَعَ الأَنْـــواءِ فَيْـــضُ بَنَانِـــهِ وَيُعدُّ مِنْ حَسَـــنَاتِ أَهْـــلِ المَشْـــرِقِ

يَسْتَـــنْزِلُ الأَمَـــلَ البَعِيـــدَ بِبِشْـــرِهِ بُشْـــرى الخَمِيـــلَةِ بِالرَّبِيـــعِ المُغْدِقِ

وصاحب الوجه البشوش المنبسط ينتشر شذى النور من وجهه ويـــترك الخـــير والبركة.

يقول الشيخ عبدالله السابوري ناصحًا[٦٧]:

عَلَيْـــكَ حُسْـــنَ البِشْـــرِ في اللِّقَـــاءِ فَإِنَّـــهُ مِـــنْ سَـــبَبِ الرَّخَـــاءِ

وأبو تمام يرى إن البِشر في اللقاء يغني عن الترحيب[٦٨]:

---

[٦٤] كثير عزة: ديوانه، ص١٨٧.

[٦٥] ابن المعتز، عبدالله بن المعتز: ديوان ابن المعتز، شرحه : مجيد طراد، بيروت، دار الكتـــاب العربـــي، ط١، (١٤١٥هـــ ١٩٩٥م) ج٢، ص٣٣٩.

[٦٦] أبو تمام:، شرح ديوان أبي تمام، ص٢٠٠.

[٦٧] قُبّش، أحمد: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص٢١٦.

[٦٨] أبو تمام، شرح ديوان أبي تمام، ص٢٣.

www.mtenback.com

وَمُرَحِّبٍ بِالزَّائِرِيْنَ وَبِشْرُهُ يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلٍ لَدَيْهِ وَمَرْحَبِ

وقد يذهب بمعنى البشر مذهبًا يفارق العادة، فالناس يتذمرون من منغصات الحياة ويتكدرون من الهموم، وإن حدث العكس ووجد من يفرح بالهم فهذا يُعزى إلى أمرين أولهما : يعزى إلى جَلَد المرء على مصائب الدهر، والثاني يعزى إلى كبر نفس من يتبسم أمام المصائب وهو راضٍ بما ابتلي به، فيخفف عن النفس عبئًا هي في غنى عنه ويريحها من قلق قد يفضي بها إلى المرض..

والبِشر علامة كاشفة وواضحة يدل ظاهرها على مخبر الشخص، فالإنسانُ يعرف من أسارير وجهه وقسماته، فإن كانت منفرجة ومسفرة دلت على بشاشته فيضفي ذلك على الجو مرحًا وسرورًا، وإذا كان وجهه عابسًا حزينًا عكس شيئًا من حزنه على من حوله من الناس، يقول بدوي الجبل[٦٩]:

إِذَا مَرَّ وَجْهٌ عابِرٌ رُحْتُ أَجْتَلِي أَسَارِيرَهُ بِشْرٌ عَلَيْهِنَّ أَمْ رُعْبُ

وبذا يمكن الحكم على الشخص وتحديد الحالة التي هو عليها، فإما التقرب والحب، وإما الابتعاد والبغض، وقديمًا قال الشاعر الأبرش[٧٠]:

أَخو البِشْرِ مَحْبُوبٌ عَلَى حُسْنِ بِشْرِه وَلَنْ يَعْدَمَ البَغْضَاءَ مَنْ كانَ عَابِسا

وقد سئلت امرأة عن سر جمالها، وما تستعمل من أدوات الزينة، فقيل لها: «أي مواد التجميل تستعملين؟» فقالت: «أستعمل لشفتي الحق، ولصوتي الصلاة، ولعيني الرحمة والشفقة، وليدي الإحسان ولقوامي الاستقامة، ولقلبي الحب»[٧١] وكانت العرب توصي أولادها وأمراءها بحسن البِشر وطلاقة الوجه لأنهما عنوان السيرة

---

[٦٩] بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل ص٢٨١.

[٧٠] قبّش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص٢١٥.

[٧١] كعكو: أحمد حسين، محاسن الجود والكرم، حلب، مكتبة قباء، ط١، (١٤٠٣هـ)، ص٨٩.

www.mtenback.com

الحسنة ومما جاء في ذلك وصية أبي دهمان لسعيد بن مسلم بقوله: «.. فتحبب إلى عباد الله بحسن البِشر، وتسهيل الحجاب، ولين الجانب، فإن حبَّ عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله؛ لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله»[٧٢].

وارتباط البشاشة بحسن الوجه كارتباطها بأداء المعروف وحب الخير للناس، فالمكلّفون بأداء المعروف أو الذين يعُرف عنهم ذلك تجد وجوههم مشرقة جميلة، ومعروفهم يبدأ ببذل وجوههم للسائل والمحتاج، ويتقدم عطاؤَهم حُسن وجوههم وبشاشتها، ففي الأثر: «اعتمد لحوائجك الصّباح الوجوه، فإن حُسن الصورة أول نعمة تتلقاك من الرجل»[٧٣]، وقد أثر عن رسول الله ﷺ قوله: «إذا أبردتم إليَّ بريدًا فابعثوه حسن الوجه حسنَ الاسم»[٧٤].

والعربي يستنكر العبوس من الكريم، فالكريم لا يكون إلا باشًا مبتسمًا وقلما نجد كريمًا عابسًا مقطب الوجه. والعبوس في الوجه علامة سوء ودلالة نقص لا تليق بأصحاب المكارم، مثلما أن البخل لا يليق بهم أيضًا.

وفي قصيدة الحطيئة المشهورة يصف بشاشة أعرابي عندما أكرم ضيفه بعد أن يسر الله له ما يقدمه له من طعام[٧٥]:

---

[٧٢] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، (١٤١٩هـ) ج٢، ص١٥٠.

[٧٣] كعكو: محاسن الجود والكرم ص٣٤. وانظر: ميزان الاعتدال ١٧٥٠، وابن حجر: لسان الميزان ٨٠٥/٢، و ٨٣٠/٦: «اطلبوا الحاجات عند حسان الوجوه».

[٧٤] السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط٤، ١٩٥٤م، ج١، ص١٥.

[٧٥] الحطيئة، جرول بن أوس: ديوان الحطيئة، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٢٥٦.

www.mtenback.com

فَبَاتُوا كِرامًا قَدْ قَضَوا حَقَّ ضَيْفِهِمْ ... فَلَمْ يَغْرَمُوا غُرْمًا، وقَدْ غَنِموا غُنْمَا

وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشاشَتِهِ أَبًا ... لِضَيفِهِمْ وَالأُمُّ مِنْ بِشْرِها أُمَّا

ويأتي قول الحكماء مؤكدًا وداعمًا لقوله ﷺ، فقد ورد في الحكم: «من بذل إليك وجهه فقد وفّاك عن نعمتك»[٧٦].

وفي الشعر مايؤكد أن بشاشة الوجه هي من مقدمات إكرام الضيف، وتقدير المضيف له، قال عروة بن الورد[٧٧]:

أَأَبْسُطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ القِرَى ... وَأَجْعَلُ مَعْرُوفِي لَهُمْ دُونَ مُنْكَرِي

وابن عبد ربه يؤكد أن الله اختار أهل المعروف وجعل وجوههم باشة وجعل لحسنها تأثيرًا في قلب السائل، فهي تمنحه الطمأنينة وتعطيه الأمل وتعظم لديه الرجاء وتقضي على اليأس الذي يملأ صدره، وليس كل ذلك إلا من محبة الله لهذا الشخص، ومحبة الله للمرء تمنحه حب الناس.

قال ابن عبد ربه في هذا المعنى: ودخلتُ على أبي العباس القائد فأنشدتُه[٧٨]:

اللهُ جَرَّدَ للنَّدَى والبَاسِ ... سَيْفًا فَقَلَّدَهُ أَبَا العَبَّاسِ

مَلِكٌ إذا اسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... قَبَضَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ رُوحَ اليَاسِ

وَجْهٌ عَلَيْهِ مِنَ الحَيَاءِ سَكِينَةٌ ... وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مَعَ الأَنْفَاسِ

وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ يَوْمًا عَبْدَهُ ... أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

---

[٧٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٧٨.

[٧٧] ابن الورد عروة، ديوانه، شرح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ)، ص٧٨.

[٧٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، (٢٠١/١).

www.mtenback.com

وارتباط العطاء والإحسان بحسن الوجه وثيق، وإذا أعطى الكريم فكأنما بشر وجهه وسماحته هما من أعطى، قال المتنبي[٧٩]:

فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمُ كَفُّ مُنْعِمِ

وحسن الوجه دلالة على الكرم، فالبشاشة استدلال كافٍ على كرم المرء، يقول الشاعر أبو دلف[٨٠]:

أَلا رُبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطْتُهُ وَآنَسْتُهُ قَبْلَ الضِّيافَةِ بِالبِشْرِ

والوجه مرآةٌ تنبي عن حقيقة القلب، وإذا كان الوجه متهلّلاً فقد أبان عن نفس طيبة تحب فعل الخير. قال شاعر[٨١]:

دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هَذا هَادِيًا مِنْ دَلِيلِ

فطلب الحاجة مشروع في القرآن والسنة، لكن طلبها من حسان الوجوه، أفضل ففي الحديث قوله:«اطلبوا الحاجات عند حسان الوجوه»[٨٢].

وفي رواية أخرى: «اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه، فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طليق وإن ردّك ردّك بوجه طليق، فربَّ حسنِ الوجه ذميمه عند طلب الحاجة، وربَّ ذميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة»[٨٣].

---

[٧٩] المتنبي: ديوان المتنبي، (٤/٢٧٠).

[٨٠] الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين: الأغاني، (٧/١٥١).

[٨١] ابن أبي الدنيا، الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سفيان: موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ)، ج٢، ص٥٣.

[٨٢] ميزان الاعتدال، ص١٧٥٠؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٢، ص٨٠٥، ج٦، ص٨٣٠.

[٨٣] حسام الدين الهندي البرهان فوزي علاء الدين علي المتقي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وفسّر غريبه: الشيخ حياتي، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ج٦، ص٥١٦-٥١٧.

www.mtenback.com

فحسن الوجه وبشاشته يشجع على طلب الحاجة وغالبًا ما يكـــون حِســان الوجوه سمحاء مع الناس ودودين باشين إن أعطوا فبنفوس راضية، وإن لم يعطـــوا ردّوا بطريقة حسنة لاتنتقص من قدر السائل ولا تهدر شيئًا من كرامته.

فوجوههم حسنة مشرقة وَضّاءة جاء في الأثر: «إنّ الله جعل للمعروف وجوهًا من خلقه، وحبب إليهم المعروف، وحبب إليهم فِعاله، ووجّه طلاب المعروف إليهـــم، وسيّر عليهم عطاءه، كما يُسيّر الغيث إلى الأرض الجدبة، ليحييها ويحيي بها أهلهـــا، وإنّ الله تعالى جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغّض إليهم المعروف، وبغّـــض إليهـــم فعاله، وحظر عليهم إعطاءه، كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة، ليهلكها ويهلك بها أهلها»[٨٤].

فالمعروف له أهله، وله مدّاحه، والناس تكثر الشكر والثناء للكريم المعطاء لذلك يصبح للكريم حقٌ بين معتفيه يوجب له الحمد والشكر يقول الشاعر أبو الأسود[٨٥]:

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إِنْ كُنْـــتَ مَادِحًـــا ... بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ والوَجْهُ وَافِـــرُ

والوجه الحسن الجميل يجلب الطلاب ومن ذلك قول بعضهم[٨٦]:

حُسْنُ ظَنٍّ إِلَيْـــكَ أَكْرَمَـــكَ اللَّـــ ... ـــهُ دَعَانِي فَـــلا عَدِمْـــتَ الصَّلاحَـــا

وَدَعَـــانِي إِلَيْـــكَ قَـــوْلُ رَسُـــولِ اللهِ ... إِذْ قَـــالَ مُفصِحًـــا إِفْصَاحَـــا

إِنْ أَرَدْتُـــمْ حَوائِجًـــا عِنْـــدَ قَـــوْمٍ ... فَتَنَقَّـــوا لَهَـــا الوُجُـــوهَ الصِّباحَـــا

---

[٨٤] كعكو: أحمد حسين، محاسن الجود والكرم، حلب، مكتبة، قباوة ط١، (١٤٠٣هـ)، ص٣٤.

[٨٥] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٠.

[٨٦] المرجع السابق، ج٣، ص١٣٥.

www.mtenback.com

والعربي قديمًا كان يفتخر بقومه، ويشتاق إليهم لأنهم أهل نجدة وسماحة وخصب، ويذكر ذلك في أشعاره وحكمه، ويستشعر الوحشة لغياب وجوههم المشرقة عنه مدة من الزمن، يقول الأعشى[٨٧]:

إِنَّنِي مِنْهُمُ وَإِنَّهُمُ قَوْ ... مِي وَإِنِّي إِلَيْهِمُ مُشْتَاقُ

فِيهِمُ الخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ والنَّجْ ... دَةُ فِيهِمْ وَالخَاطِبُ المِصْلاقُ

فالوجه الحسن الفائق الجمال يمكن أن يُسأل به، وقد شبّهوا وجه الكريم بالمزن التي تخزن الأمطار، والسائل يطلب منه حتى يُستنزل عطاؤه كما أن الأمطار تستنزل بالدعاء، يقول عمر بن أبي ربيعة[٨٨]:

وَجْهُكِ الوَجْهُ لوْ سَأَلْتِ بِهِ المُزْ ... نَ مِنَ الحُسْنِ وَالجَمَالِ اسْتَهَلاّ

والبشاشة وحسن الوجه مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالضوء، فالوجه المضيء غالبًا وجه كريم، وصاحبه ذو نقاء وصفاء وسلامة صدر وقلب طيب، ونقاء قلبه هذا هو مصدر إضاءة وجهه، والخصال الكريمة تنعكس بالبشر الذي يُنير الوجه ويجعله يفيض بالبشر والحيوية، ولا يرتبط ذلك باللون والشكل، فكم من أسود بدا لك وكأن البدر يشرق من وجهه لرحابة صدره، وبشاشته، يقول الشاعر[٨٩]:

قَومٌ إِذَا اقْتَحَموا العَجَاجَ حَسِبْتَهُ ... لَيْلاً وخِلْتَ وُجُوهَهُم أَقْمَارا

---

[٨٧] ديوان الأعشى، ميمون بن قيس: شرح: يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ) ص١٩٥.

[٨٨] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، شرحه وقدم له: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٤٩٢.

[٨٩] ابن منقذ، أسامة: لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر، المطبعة الرحمانية، (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م).

www.mtenback.com

ويقول أبو الطَّمَحَان القيني[٩٠]:

وَإنّي مِنَ القَـــومِ الّذيـــن هُـــمُ هُـــمُ ... إذَا مَاتَ مِنهُمْ سَـــيِّدٌ قَـــامَ صَاحِبُـــهْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَـــا غَـــابَ كَوْكَـــبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تَـــأْوِي إلَيْـــهِ كَوَاكِبُـــهْ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْســـابُهُمْ وَوُجُوهُهُـــمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجَـــزْعَ ثَاقِبُـــهْ

وأبو تمام يصف وجوه القوم بأنها كالكواكب في إشراقها وقوة نورها ولو أن هذه الكواكب موجودة على سطح الأرض لكانت وجوه هؤلاء القوم هي الكواكـــب التي تنير للسائر في الليل طريقه، ولكانوا له الضوء الهادي لشدة ماتشع وجوههم مـــن نور[٩١]:

وُجُوهٌ لَوَ انَّ الأرضَ فِيها كَواكِـــبٌ ... تَوَقَّدُ للسَّـــارِي لَكَـــانَتْ كَواكِبـــا

ويمدح ابن عنقاء الفزاري رجلاً فيجمع الكواكب في وجهه لشـــدة إشـــراقه، ويتهلّل متلألئًا ويحرك في القلب رضًا وانشراحًا[٩٢]:

غُـــلاَمٌ رَمَـــاهُ اللهُ بِالحُسْـــنِ يَافِعًـــا ... لَهُ سِيمَيَاءٌ لا تَشُـــقُّ عَلَـــى البَصَـــرْ
كَـــأَنَّ الثُّرَيَّـــا عُلِّقَـــتْ فِي جَبِينِـــهِ ... وَفِي أَنْفِهِ الشِّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ القَمَـــرْ

وترتبط البشاشة وحسن الوجه بحسن الفعال ولا يكفي حسن الصـــورة لينـــال صاحبه المحبة والتقدير من الناس، ولا ينفعه غنى الشكل إذا كان المضمون فقيرًا كمـــا قال الشاعر[٩٣]:

---

[٩٠] المبرد، محمد بن يزيد: الكامل، حققه وعلق عليه: محمد أ حمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرســـالة، ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص٦٨.

[٩١] أبو تمام: شرح ديوان أبي تمام، ص٢٦.

[٩٢] المبرّد، الكامل، ج١، م١، ص٦٨.

[٩٣] القرطبي: بهجة المجالس، م٢ ص٢٩.

www.mtenback.com

إنَّ حُسْـــنَ الوَجْـــهِ يَحْتَـــا ـــجُ إلى حُسْـــنِ فِعَـــالِ
حاجَـةَ الصَّـادِي مِـنَ المـا ـءِ إلى العَـذْبِ الـزُّلالِ

والحسن البصري يقول: «ينبغي للوجه الحسن ألاّ يشين وجهه بقبيح فِعله، وينبغي لقبيح الوجه ألاّ يجمع بين قبيحين»[٩٤].

ويدخل عامل التربية في إبراز الحسن وإكماله، والحكماء والمربّون غالبًا ما يحثون من حَسُنَ خَلْقُه أن يُحسنَ خُلُقَه : «فقد نظر فيلسوف إلى غلام حسن الوجه يتعلّم فقال: أحسنت إذا قرنت بحسنِ خَلْقك حُسن خُلُقك»[٩٥].

وقال جالينوس: «ينبغي للرجل أن ينظر إلى وجهه في المرآة فإن كان حَسَن الوجه جعل غايته أن يضم إلى جمال وجهه كمال خُلقه وكمال نفسه، وإن رأى صورة سمجة تحرّز من أن يكون ذميم الخَلق والخُلق»[٩٦].

وهذا ما يؤكده الأثر الذي ورد عن النبي ﷺ: «اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلقي»[٩٧].

ولكن كيف السبيل إلى كمال الخُلق والخَلقْ وما الطريقة التي يمكن أن يتبعها المرء ليضيف إلى حسن الخَلْق حُسنًا في أخلاقه؟!

يروى أنه: «كان فتى من طيء يجلس إلى الأحنف بن قيس، وكان يعجبه وجهه، فقال له يومًا: يافتى، هل تزيّن جمالك بشيء ؟ قال إذا حدثْتُ صدقْتُ وإذا حُدثت استمعت، وإذا عاهدت وفيت، وإذا وعدت أنجزت، وإذا اؤتمنت لم أخن، فقال الأحنف هذه مكارم الأخلاق حقًا»[٩٨].

---

[٩٤] القرطبي، بهجة المجالس، م٢ ص٢٩.

[٩٥] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ج١ ص٢٧٧.

[٩٦] المرجع السابق نفسه.

[٩٧] مسند أحمد رقم ٢٤٨٩٦، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤١٩هـ)، ص١٨٢٧.

[٩٨] كعكو: محاسن الجود والكرم، ص١٠٩

www.mtenback.com

فالوجه يعكس الخبر ويدل عليه. بل يكون شاهداً على ما يستتر من خير أو شر كما قال سلم الخاسر[٩٩]:

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عَنْ خَلائِقِهِ ... في وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الخَبَرِ

وفي المثل قيل: «مَنْظَرُه يُنبئُك عَنْ مَخْبَرِه» أو «كفاكَ منظرُهُ إيضاحَ مَخبرِه»[١٠٠].

فمن واجب الإنسان أن يسعى لإظهار صورته حسنة وأن يكون حسنها موافقاً لمخبره، لتفيض على وجهه بشراً وبهاءً فالوجه يأتي مبلغاً عن الحاجة، يقول الشاعر في ذلك[١٠١]:

كَفَاكَ مُخْبِرًا وَجْهِي بِشَأْنِي ... وَحَسْبُكَ أَنْ أَراكَ وَأَنْ تَرَانِي

وَمَا ظَنِّي بِمَنْ يَعْنِيهِ أَمْرِي ... وَيَعْلَمُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي

ويجدر أن يقابل الوجه البشوش ببشاشة حسن وجهك، وابتسامتك وإشراقك وما يزيدك طلبه إلا إشراقاً وحسناً.

فالحسن مطلوب من المسؤول مثلما هو مطلوب من السائل. وكلاهما ـــ السائل والمسؤول ـــ إذا حَسُنَا كانت البشاشة مقصدهما وحفت البشرى مجلسهما، حتى إن حسن الوجه ليكون خفيف الظل على النفس سواء كان سائلاً أو زائراً، وكأنما عناه أبو تمام إذ قال[١٠٢]:

---

[٩٩] النويري، أحمد بن عبدالوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، (١٩٢٨)، ج٣، ص٨١.

[١٠٠] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج١ ص٢٧٨.

[١٠١] ديوان أبي تمام، ص٢٣.

[١٠٢] المرجع السابق، ص٢٦

www.mtenback.com

وَتَحْسُنُ في عَيْنيهِ إِنْ كُنْـــتَ زَائِـــرًا وَتَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا جِئْـــتَ طَالِبـــا

بسط الوجه:

ومن أهم سمات البشاشة وانعكاساتها على الجوارح بسط الوجه وطلاقته، وهي سمة تظهر على المحيا فتوحي بالرضا والحبور، وتبعث في نفوس الآخريـــن الاطمئنـــان والراحة، فيقبلون نحوه بصدور منشرحة، وقلوب تنبض بالحب والمودة..

ولبسط الوجه آثار نفسية رائعة تقرب النفوس بعضها من بعض، وتبعث علـــى التآلف، وتثير كوامن الخير وتمتن الروابط بين الأخلاء والمتحابين والأصدقاء.

جاء في الحديث الشريف «لا تحقرن شيئًا من المعروف وأن تكلم أخاك وأنـــت مبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف»[١٠٣].

فالرسول ﷺ يدعو إلى بشاشة متمثلة في بسط الوجه، ويحث النـــاس علـــى البِشر، فإن كانوا معدمين، لا تملك أيديهم ما يتصدقون به فإن أيسر شيء يتصدقون به هو بسط الوجه، وهو عمل لا يكلف صاحبه غاليًا بل هو من قبيل الرخيص الغـــالي، لا ينقص من المال ولا يُحْرِج بما هو فوق الطاقة، وهو غالٍ لأنه يحبب النـــاس بهـــم ولا ينقص من قدرهم، فإن بسطوا وجوههم للناس فكأنهم أعطوهـــم وإن كـــان منـــعٌ وتقطيب أوردّ وإحجام، فهذا ما يبعث البغض والحقد والضغينة في النفوس، وهو مـــا تأباه الأخلاق العربية، وقد ذكر الأشعث بن قيس أن لبسط الوجه قيمة تفاضلية بـــين الناس، فقال: «إنما أنا رجل منكم، ليس لي فضلٌ عليكم، لكن أبسط لكم وجهـــي، وأبذل لكم مالي وأقضي حوائجكم، وأصون حريمكم، فمن فعل منكم مثلـــي فهـــو مثلي، ومن زاد عليّ فهو خير مني ومن زدت عليه فأنا خير منه.. قيل يا أبـــا محمـــد: مايدعوك إلى هذا الكلام؟ قال حَضُّهُم على مكارم الأخلاق»[١٠٤].

---

[١٠٣] أبو داوود، لباس ٢٥ برقم ٤٠٨٤، في موسوعة الحديث الشريف.

[١٠٤] كعكو: محاسن الجود والكرم ص٤٤١.

www.mtenback.com

فبسط الوجه وقضاء الحاجة من أهم عناصر سيادة المرء، وليس ببعيد عنا قول عمران المؤدب في هذا المعنى[١٠٥]:

لايَنقُرُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤالِهِم لِتَلمّسِ العِلاّتِ بِالعِيدَانِ
بلْ يَبْسُطونَ وُجُوهَهُم فَتَرى لَهَا عِنْدَ اللقَاءِ كَأحْسَنِ الأَلْوانِ

ولا شك في ارتباط البشاشة بقيم خلقية أخرى، فبسط الوجه مطلوب عند استقبال الناس إن كانوا محتاجين أو غير محتاجين، وارتباط البشاشة بالكرم والجود وإقراء الضيف ليس إلا تتمة لهذه الأخلاق، وتعزيزاً لها فالقيم يكمل بعضها بعضًا، وتتضافر لتحسن سيرة حياة الناس، وتسهل تعاملهم وتزيد تعاونهم، ولارتباط الكرم بالبشاشة يقول عروة بن الورد[١٠٦]:

سَلِي الطّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا ما أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزَرِي
أَأَبْسُطُ وَجْهِي، إِنَّهُ أَوَّلُ القِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

ومثل هذا ما جاء في الأثر: «يا أبا ذر، لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[١٠٧].

و لم يكن الدين الإسلامي الوحيد الذي يدعو إلى البشاشة وبسط الوجه وفك تجاعيده،بل نكاد نجزم أن الأديان التوحيدية كلها كانت تؤكد على ذلك فقد روي عن عروة أنه قال: «مكتوب في الحكمة: ليكن وجهك بسطًا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء»[١٠٨].

---

[١٠٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٣-٤، ص١٥٤.

[١٠٦] ابن الورد، عروة، ديوانه، ص٧٨.

[١٠٧] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم ٢٦٢٦.

[١٠٨] ابن منظور، لسان العرب، مادة [بسط]، وابن هذيل، عين الأدب والسياسة ص١٥٤.

www.mtenback.com

وقد جاء في الظرف والظرفاء : «أول المروءة طلاقة الوجه، والثانية التودد إلى الناس والثالثة قضاء حوائج الناس»[١٠٩].

كما أن طلاقة الوجه من البر، والبر عند الشاعر سفيان بن عيينة أمر سهل جدًا، والطريق إلى تحقيقه مفتوحة ومتاحة بطلاقة الوجه ولطف الكلام[١١٠]:

بُنَيَّ إِنَّ البِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِيْقٌ وَكَلامٌ لَيِّنُ

والبشاشة وطلاقة الوجه هما عنوان الضمير ومرآة النفس ودعوة لتحقيق الأمل وتقريبه، وقيل: طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يستنزل الأمل البعيدُ[١١١].

يقول محمد بن حازم[١١٢]:

وَما اكْتَسَبَ المَحَامِدَ طالِبُوها بِمِثْلِ البِشْرِ وَالوَجْهِ الطَّلِيْقِ

وقال أبو علي العنزي حاثًا الناس على إظهار الطلاقة في وجوههم[١١٣]:

أَلْقَ بِالبِشْرِ مَنْ لَقِيْتَ مِنَ النَّا سِ جَمِيْعًا وَلاقِهِمْ بِالطَّلاقَهْ
تَجْنِ مِنْهُمْ جَنْيَ ثِمَارٍ فَخُذْهَا طَيِّبًا طَعْمُهُ لَذِيْذَ المَذَاقَهْ

وما أحسن أن يكون وجهك باشًا طليقًا وأنت تقدم النصيحة في رفق ومودة وحسن أدب يقول أبو العتاهية[١١٤]:

عَامِلِ النَّاسَ بِرَأْيٍ رَفِيْقِ وَالْقَ مَنْ تَلْقَى بِوَجْهٍ طَلِيقِ

---

[١٠٩] ابن يحيى الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق: الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مصر مكتبة الخانجي ومطبعة الاعتماد، ط٢، (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، ص٢٩.

[١١٠] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء ج١ ص٧٧.

[١١١] المرجع السابق، ج١، ص٢٧٧.

[١١٢] القرطبي: بهجة المجالس- ج٢- ص٥٩٨.

[١١٣] قُبّش،مجمع الحكم والأمثال، ص٢١٥.

[١١٤] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤٧.

www.mtenback.com

فطلاقة الوجه يحتاجها الإنسان حتى عند المصائب حين يستطيع التصرف بشكل حسن لايؤدي به إلى التعب النفسي والمرض الجسدي، فالدنيا تحتاج للإنسان المؤمن الذي يُحسن التعامل معها بلين ورفق ويستقبل حوادثها برحابة صدر وطلاقة وجه يقول أبو تمام[١١٥]:

ضَاحِكٌ فِي نَوائِبِ الدَّهْرِ طَلْقٌ وَمُلُوكٌ يَبْكُونَ حِيْنَ تَنُوبُ
خُلُقٌ مُشْرِقٌ وَرَأْيٌ حُسَامٌ وَوِدَادٌ عَذْبٌ وَرِيْحٌ جَنُوبُ

إن ريح الجنوب تجلب الغيث فتحمل الخير للناس على عكس (الشمال) الباردة التي لا تنزل مطرًا، ولا تحمل سحابًا.

وطلاقة الوجه تتجاوز المعاملة الخشنة مع الناس ويمكن بها المحافظة على الأهل والعشيرة والقوم والأصدقاء والأحباب، فهي البلسم والدواء الشافي للجروح، وأسامة ابن مرشد يقول[١١٦]:

إِذَا جَرَحَتْ مَسَاوِيْهِمْ فُؤَادِي صَبَرْتُ عَلَى الإِسَاءَةِ وَانْطَوَيْتُ
وَرُحْتُ عَلَيْهِمُ طَلْقَ المُحَيَّا كَأَنِّيْ مَاسَمِعْتُ وَلاَ رَأَيْتُ

والطلاقة هي العطاء بوجه طلق وافر الماء باسم الثغر، فأبو تمام يخاطب أبا دلف ويذكره بعطاء الله؛ ويدعوه لبسط وجهه حين العطاء وليجمّل عطاءه بابتسامة يقول[١١٧]:

عَجَبٌ لعَمْرِي أَنَّ وَجْهَكَ مُعْرِضٌ عَنِّي وَأَنْتَ بِوَجْهِهِ نَفْعِكَ مُقْبِلُ

---

[١١٥] أبو تمام، ديوان أبي تمام، ص٥٩.

[١١٦] ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج١، ص١٩٨.

[١١٧] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٢٢٦.

www.mtenback.com

بِـــرٌّ بَـــدَأْتَ بِـــــهِ وَدارٌ بَابُهـــــا لِلْخَلْـــقِ مَفْتُـــوحٌ وَوَجْـــهٌ مُقْفَـــــلُ
أَوَ لا تَـــرَى أَنَّ الطَّلاقَـــــةَ جُنَّـــــةٌ مِنْ سُوءِ مَاتَجْنِي الظُّنُـــــونُ وَمَعْقِـــلُ
حَلْي الصَّنِيْعَـــــةِ أَنْ يَكُـــونَ لِرَبِّهَـــا لَفْـــظٌ يُحَسِّـــنُها وَطَـــرْفٌ قَلْقَـــــلُ
وَمَـــــوَدَّةٌ مَطْوِيَّـــــةٌ مَنْشُـــــورَةٌ فِيْهَـــا إِلَـــى إِنْجَاحِهَـــــا مُتَعَلِّـــــلُ

فالبشاشة لا تعني التبسم وحده، بل تتجلى في طلاقة الوجه وفي حسن الصنيعة وفي حب الناس ونفعهم وفي إدامة النظر إليهم وتنقل البصر بينهم وفي اللفظ الحســـن المعطر برداء المودة.

وعندئذ يمكن استجلاء البشاشة من استقبال السمع والبصر، فعن طريق البصر يمكن ملاحظة ما ينعكس على المحيا من علامات وسمات تظهر الرضـــا كالتبسُّـــم في وجوه الآخرين، وإظهار الحب والتودد لهم، كما تتمثل في الانبســـاط والانشـــراح، والإقبال بالوجه على الآخرين.

وعن طريق السمع يمكن أن تلمس البشاشة فيما يطيب من الكلام، وفي حسن المنطق، واختيار أطايب الحديث أثناء مخاطبة الآخرين.

التبسم:

والابتسام يأتي صدى أو تمثيلاً حيًا للسرور الداخلي والحبور والانبساط وهو من ضرورات البشاشة وعامل قوي من عوامل إظهارها.

والتبسم: يكون خلقًا في المرء وهو مندوب فعله وفق ما أتت به السنة، فالرسول الكريم ﷺ يبتسم ويحث المسلمين على التبسم، كما ورد في الأثر : «تبسّمكَ في وجه أخيك لك صدقة»[١١٨].

[١١٨] الترمذي: جامع الترمذي، كتاب البر ٣٦ باب ما جاء في صنائع المعروف.

www.mtenback.com

وتبسم الرسول ﷺ كان عامل اطمئنان وتأييد للمسلمين ودافعًا قويًا لهم للثبات على إيمانهم فعن جرير بن عبد الله: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي»[١١٩].

وتبسم النبي طبع وليس تطبعًا، فهو خلقٌ أصيل فيه، وقد سُئلت عائشة عنه كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا بنسائه؟ قالت: «كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس وأحسن الناس خُلقًا، كان ضحّاكًا بسّامًا»[١٢٠].

ومدح الشاعر زياد الأعجم عبد الله بن عامر بن كريز فقال[١٢١]:

أَخٌ لَكَ مَا تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلاَّ ... عَلَى العِلاّتِ بَسَّامًا جَوَادَا

سَأَلْنَاهُ الجَزِيْلَ فَمَا تَلَكَّا ... وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْيتِنَا وَزَادَا

وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُدْنَا ... فَأَحْسَنَ ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَعَادَا

مِرَارًا مَا أَعُودُ إِلَيْهِ إِلاّ ... تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثَنَى الوِسَادَا

هذا الشاهد على طرافته يظهر لنا البشاشة في حلية العطاء فالممدوح يعطي وحين يعطي يزداد إشراقًا وتبسمًا وكلما زاد الناس في طلب حاجاتهم عنده، تراه يزداد تبسمًا وكلما زادوا زاد كأنّ العطاء يزيده وسامة وكأن العطاء يعطي الشعور بهذا الحبور ويملأ صدره سرورًا، وما ذاك إلا لأن الابتسامة تسبق الضيافة والقِرى وهي أول واجبات المضيف، وما بعد الابتسامة من إشراق الوجه تكون واجبات الضيافة كما تعرفها العرب، وفي ذلك يقول الخريمي[١٢٢]:

---

[١١٩] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب برقم ٣٠٣٥، باب التبسم والضحك، (٦٨)، موسوعة الحديث الشريف.

[١٢٠] السلفي الأصبهاني: ص٣٤.

[١٢١] القرطبي، ابن عبدالبر النمري: بهجة المجالس، م٢ قسم ١، ص٦٦٥.

[١٢٢] الخريمي، إسحاق بن حسان: ديوان الخريمي، جمعه وحققه: علي جواد الطاهر، وزميله، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، (١٩٧١م)، ص٢١٢، وورد في قَبَش: أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص٢١٦، والمستطرف (٥٥٦/١).

www.mtenback.com

أُضَاحِكُ ضَيْفِيْ قَبْلَ إِنْـــزَالِ رَحْلِـــهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالمَحَـــلُّ جَدِيْـــبُ
وَمَا الخِصْبُ للأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى وَلَكِنَّمَـــا وَجْـــهُ الكَرِيـــمِ خَصِيْـــبُ

ويقول المعري[١٢٣]:

إِذَا الضَّيْـــفُ جَـــاءَكَ فَابْسِـــمْ لَـــهُ وَقَـــرِّبْ إِلَيْـــهِ وَشِـــيكَ القِـــــرَى

فالابتسام سابق للقِرى مقدم عليه عند العرب كافة، وقد تـــوارد الشـــعراء في الجاهلية والإسلام على معنى البشاشة مع القرى وأنه مكمل لها وقـــد مُـــدِح الذيـــن يتصفون بالبشاشة ويتحلون بها.

وارتباط الابتسام بالقرى أمر معروف عند عامة العرب، وقد صـــوروه وكأنمـــا الابتسامة صادرة عن الكرم نفسه لا عن صاحبه وباذله، يقول أبو تمام[١٢٤]:

أَمْسَى ابْتِسَامُكَ وَالأَلْـــوَانُ كَاسِـــفَةٌ تَبَسُّمَ الصُّبْحِ فِي دَاجٍ مِـــنَ الظُّلَـــمِ
كَذَا أَخُوكَ النَّدى لَـــوْ أَنَّـــهُ بَشَـــرٌ لَمْ يُلْفَ طَرْفَةَ عَيْـــنٍ غَـــيْرَ مُبْتَسِـــمِ

ومثل أبي تمام في مدحه بالابتسام وطلاقة الوجه عند استقبال النـــاس لم تجـــد زينب بنت الطثرية صفة لأخيها؛ عندما بكت عليه بعد موته ورثته بقصيدة حزينـــــة، أفضل من وصفه بأنه طلق المحيا مبتسمٌ لا يقطب ولا يكفهر ولا يتجهم في الخطوب، ولا يستقبل أحدًا إلا والابتسام والفرح يعلو وجهه تقول[١٢٥]:

كَرِيْـــمٌ إِذَا لاَقَيْتَـــهُ مُتَبَسِّـــمًا وَإِمَّا تَوَلَّى أَشْـــعَثَ الـــرَّأسِ حَامِلُـــهِ

وقد وضع البخاري بابًا في صحيحه سماه باب التبسم والضحك وجعله فرعًا من كتاب الأدب وذكر بعضًا من أحاديث رسول الله ﷺ التي تدل على سيرته العطرة مع

---

(١٢٣) اللعبري، أبو العلاء: ديوان لزوم مالا يلزم، دار صادر، بيروت، (١٩٦١م)، ٧٨/١.

(١٢٤) أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٢٧٣.

(١٢٥) انظر: عمر كحالة، أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، (١٤٠٤هـ) ج٢، ص٧١.

www.mtenback.com

الناس وما للتبسم والضحك من دور في دعوة الناس للحق والخير وغير ذلك. ومما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء»[١٢٦].

ثم إنَّ التهلل صنو الترحيب بل يفوقه ويتقدمه ويوازيه ويسير معه، ويأتي في المرحلة الأولى من الاستقبال، وتظهر علاماته جلية بالقول والفعل وترتسم سماته على الوجوه والأبدان وحركات اليدين والإقبال والتقدم نحو الضيف والركض نحوه والتهلل يدل على الانفعال بالحدث، ويأتي ارتباطه وثيقًا بذوي الكرم وبذوي الصدور الواسعة وهو يظهر حالة السرور والحبور التي ترافق الكريم الجواد وتسبق الضيافة وأدواتها الأخرى يقول: زهير بن أبي سلمى[١٢٧]:

تَـرَاهُ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ مُتَهَلِّـلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيْهِ الَّـذِي أَنْـتَ سَـائِلُهْ

فالجواد الفيّاض لا تغادر الابتسامة وجهه وقت العطاء حين يعطي فهو يتهلل وتنفرج أساريره عاكسة انشراح صدره بالضيف وبالعطاء.

والإنسان الخلوق يشتري بأخلاقه السمحة وبكرمه الكبير حمد الآخرين وشكرهم له، فهو يدفع الشُّحَّ عن نفسه، لأن النفس الشحيحة لاتورث الخلود، وهو بطبعه يسعى إلى الخلود وينشده، ليترك لأبنائه وأحفاده مجدًا يعتزون به، ويستندون إليه، في قابل أيامهم، ويكون حافزًا للاقتداء به وتجاوزه إلى كل ماهو خير.

---

[١٢٦] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (٦٨) موسوعة الحديث الشريف، رقم ٦٠٨٨.

[١٢٧] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، ص١٤٢، وانظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار (١٥٥/٣).

www.mtenback.com

والحطيئة الذي عرف بهجائه اللاذع، يعرف فضل البشاشة والسماحة وله وصف جميل لممدوحه الذي يصحب عطاءه بتهلل وجهه فيقول[١٢٨]:

تَزُورُ امْرَأً يُؤْتِي عَلَى الحَمْدِ مَالَهُ ... وَمَنْ يُؤْتِ أَثْمَانَ المَحَامِدِ يُحْمَدِ

يَرَى البُخلَ لاَ يُبْقِي عَلَى المَرْءِ مَالَهُ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ الشُّحَّ غَيْرُ مُخَلِّدِ

كَسُوبٌ وَمِتْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ ... تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَازَ المُهَنَّدِ

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوْقِدِ

فأدوات الكرم واضحة هي التهلل والاهتزاز طربًا قبل كل شيء.

والتهلل كالبشرى تمامًا إذا بادر به المرء ضيفه كأنه بشّرهُ بالعطاء والقرى، ويطمئن القادم إلى ما ينتظره من جود وكرم، حتى إن ذلك ينعكس على من حوله من الخدم والأهلين، فكلهم هاشٌّ باشٌّ متهلل لقدوم الضيف يقول الشاعر[١٢٩]:

وَلِيْ خَلِيْلٌ مَا مَسَّنِي عَدَمٌ ... مُذْ نَظَرَتْ عَيْنُهُ إِلى عَدَمِي

بَشَّرَنِي بِالغِنَى تَهَلُّلُهُ ... وَقَبْلَ هَذَا تَهَلُّلُ الخَدَمِ

وَمَحَبَّةُ الزَّائِرِينَ بَيِّنَةٌ ... تُعْرَفُ قَبْلَ اللِّقَاءِ فِي الحَشَمِ

الترحيب:

وللمعري رأي في الترحيب ولمن يكون، وهل يكون للمدعوين أو هو حق لكل قادم حتى لو كان طفيليًا؟ وما الذي يجنيه صاحب المنزل حين يرحب بكل من قدم إليه دون أن يخص بترحيبه وبشره من يعرف، وما الذي سيخلد ذكره؟ الترحيب والبِشر، أو الطعام والصحاب؟ فيقول[١٣٠]:

---

[١٢٨] الحطيئة،جرول بن أوس: ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكّري، بيروت، دار صادر، (١٩٨١م)، ص٥١.

[١٢٩] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج٣+٤، ص ١٥٧.

[١٣٠] المعري، أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم (١/١٢٥).

www.mtenback.com

إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ إِخْـــوَانٍ وَمَـــائِدَةٍ فَاحْبُ الطُّفَيْلِـــيَّ تَـــأْهِيلاً وَتَرْحِيبـــا
لا تَلْقَيَنْـــهُ بِتَعْبِيـــــسٍ لِتُوْحِشَـــــهِ فَالزَّادُ يَفْنَى وَلا يُبْقِـــي الأَصَاحِيبَـــا

والترحيب يعني استخدام ألفاظ رديفة لعبارات السلام المعروفة، ومقابلة لها، مثل: مرحبًا، وأهلاً وسهلاً.. وما إلى ذلك.

وقد ارتبط الترحيب لدى العرب أكثر ما ارتبط بالبشاشة، فالشخص الكثير الترحاب شخص باش بطبعه.

وما الترحيب إلا الجانب المسموع والمعلن للبشاشة، وقد أكده الإسلام وحث على العمل به لما فيه من تمتين الروابط وتقويتها بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[١٣١].

والترحيب ذو دلالة عظيمة على سعة صدر المرحب، وكرم أخلاقه، لذلك نجد العرب منذ الجاهلية جعلت الترحيب ميزان الرجال، وقيمة يتفاضلون عليها، ويتسابقون في استخدامها، وبها يمدح الرجال، ويتصفون، ولذلك نجد الواحد منهم شديد الحرص على فعل ما يخلده، ويجعل ذكره الحسن صيرورة على الألسن، يقول عمرو بن الأهتم المنقري[١٣٢]:

ذَرِيْنِي فَـإِنَّ الشُّـحَّ يَـا أُمَّ مَـالِكٍ لِصَالِحِ أَخْـلاَقِ الرِّجَـالِ سَـرُوقُ
ذَرِينِي وَحَظِّي فِـي هَـوَايَ فَـإِنَّنِي عَلَى الحَسَبِ العَالِي الرَّفِيـعِ شَـفِيْقُ
وَمُسْـتَنْبِحٍ بَعْـدَ الهُـدُوءِ أَجَبْتُـهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طُـرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ: أَهْـلاً وَسَـهْلاً وَمَرْحَبًـا فَهَـذَا مَبِيْـتٌ صَـالِحٌ وَصَدِيْـقُ

---

[١٣١] سورة النساء: ٨٦.

[١٣٢] القرطبي: بهجة المجالس (١/٣٠٠).

www.mtenback.com

أَضَفْتُ وَلَمْ أُفْحشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ ... لأَحْرِمَهُ إِنَّ الفِنَاءَ يَضِيْقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلاَدٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

وقال بعض الحكماء لابنه: «يابني عليك بالترحيب والبشر وإياك والتقطيب والكبر، فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون»[١٣٣].

والترحيب من شمائل الأحرار، يقول أبو تمام[١٣٤]:

إِذَا قَالَ أَهْلاً مَرْحَبًا نَبَعَتْ لَهُمْ ... مِيَاهُ النَّدَى مِنْ تَحْتِ أَهْلٍ وَمَرْحَبِ

إذن فالبشاشة سبب قوي من أسباب الرزق، إذ يكفي الإنسان أن يكون بشًا مُرحِّبًا حتى يبارك الله له ويرزقه من حيث لايحتسب، وهذا ممدوح زهير بن أبي سلمى يلقى الناس عامتهم وخاصتهم على السواء، والبشر يفيض بوجهه، والترحيب يملأ فاه[١٣٥]:

تَرَى الجُنْدَ وَالأَعْرَابَ يغشَونَ بَابَهُ ... كَمَا وَرَدَتْ مَاءَ الكِلاَبِ هَوَامِلُهْ
إِذَا مَا أَتَوا أَبْوَابَهُ قَالَ مَرْحَبًا ... لِجوُا البَابَ حَتَّى يَأْتِيَ الجُوعَ قَاتِلُهْ

ولا يكفي الكلام والترحيب إن لم يرافقهما بشاشة حقيقية ظاهرة فبعض الناس يطمع بالعطاء فيطالب بأكثر من عبارات الترحيب وفي ذلك قال الشاعر[١٣٦]:

يَا جَوادَ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ... لَيْتَ جُوْدَ اللِّسَانِ فِي رَاحَتَيْكَا

---

[١٣٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد (٢/١٨٠-١٨١).

[١٣٤] أبو تمام، ديوان أبي تمام ص٣١.

[١٣٥] زهير ابن أبي سلمى: شرح ديوان زهير ابن أبي سلمى، ص٥٧.

[١٣٦] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٣ ص١٤٦

www.mtenback.com

وفي شعر حمزة بن بيضٍ لمخلدِ بن يزيد ما يحث على إظهار البشاشة والتعامل بها فيطلب منه أن يرحب وأن ينطق كلمة الرحب، فيقول[١٣٧]:

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا ... وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ المَرْحَبُ

وَلاَ تَكِلَنَّا إِلَى مَعْشَرٍ ... مَتَى يَعِدُوا عِدَةً يَكْذِبُوا

وليلى الأخيلية تصور لنا توبة بن الحُمَيِّر ووعده لها بأنه لو مات فلن تحجبه تربة ولا صفائح ولا حديد ولاجندل عنها، وأنه إن سمع صوتها وهتفت إليه أو أرسلت إليه سلامها وهو على هذه الحال فإنه سيرد السلام، بل سيكون باشًا في سلامه مسرورًا[١٣٨]:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ ... عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْزَقَا ... إِلَيْهَا صَدًى مِنْ جَانِبِ القَبْرِ صَائِحُ

لقاء الإخوان:

إننا لا نزال نصف البشاشة كما تتبدى لنا وتظهر، ولقاء الإخوان متضمن لمجموعة من القيم الخلقية فإلى جانب الترحيب والتسليم هناك القيام إلى المرء واستقباله ويترتب على هذا الاستقبال مراحل البشاشة السابقة، وعلائمها كالتبسم والضحك، يضاف إليه حسن القيام وحسن الوقوف أو الإسراع إلى الوافد والترحيب به والركض إليه فقد قال النبيﷺ: «لا تحقرن شيئًا من المعروف وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف»[١٣٩]. وقد حث بعض الحكماء ابنه وعلمه كيف يتعامل مع الناس وكيف يلقاهم. يقول: «يابني عليك بالترحيب والبِشر وإياك

---

[١٣٧] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار (١٥٢/٣).

[١٣٨] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (٤٨/٣).

[١٣٩] أبو داوود، سنن أبي داود، كتاب اللباس ٢٥، برقم ٤٠٨٤ في موسوعة الحديث الشريف.

www.mtenback.com

والتقطيب والكبر فإنّ الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون»[١٤٠]. وعلى صاحب الدار أن يلقى ضيوفه بوجه باش تنفرج أساريره متهللاً، يضفي عبارات التحية والسلام عليهم، وقد ذكر الأبشيهي في مستطرفه بعض واجبات الضيف منها: أن يخدم أضيافه، ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه، فقد قيل: البشاشة خير من القرى، قالوا: فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك؟.

وقد ضمّن الشيخ شمس الدين البديري رحمه الله هذا الكلام في قوله[١٤١]:

إِذَا المرءُ وَافَى مَنْزِلاً منْكَ قاصدًا ... يَرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ المَسَالكُ

فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً ... وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلاً وَيَوْمٌ مُبَارَكُ

وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ القِرَى ... عَجُولاً وَلا تَبْخَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ

فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وعَمْرٌو ومَالِكُ

بَشَاشَةُ وَجْهِ المَرْءِ خَيْرٌ مِنَ القِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهْوَ ضَاحِكُ

والأمير الفارس أسامة بن منقذ يؤكد لنا أن البشاشة هي من أخلاق الأمراء، ومن الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلوا بها وخاصة عند لقاء الإخوان ويقول[١٤٢]:

لِخَلِيْلِي عَلَيَّ مِنِّي ثَلاَثٌ ... وَاجِبَاتٌ أُتِيحُهَا إِخْوَانِي

حِفْظُهُ بِالْمَغِيبِ إِنْ غَابَ عَنِّي ... وَلِقَاءٌ بِالبِشْرِ إِنْ لاَقَانِي

ثُمَّ بَذْلِي لِمَا حَوَتْهُ يَمِينِي ... مُسْتَعِدًّا فِي الخَطْبِ أَنَّى دَعَانِي

---

[١٤٠] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص١٨٧.

[١٤١] الأبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ط١، (١٩٩٩م)، (١/٥٥٥).

[١٤٢] ابن منقذ : أسامة، لباب الآداب، ص٣٢٣

www.mtenback.com

هَـذِهِ حَالَـةُ الصَّدِيْـقِ فَـإِنْ حَـا لَ فَعِنْـدِي عَوَائِـدُ الإِحْسَـانِ

والإنسان يجب أن يكون واسع الصدر كريم النفس جميل الطباع عند استقباله الآخرين، وأن يقتدي بفعلهم إن كان حسنًا، فهذا الشاعر لرقته الشديدة وسعادته الكبيرة لايفرش الأرض للضيفان بالورود والزهور بل يختار ماهو أرق وأغلى وهي الخدود، فالكريم يحلُّ الكرامَ وينزلهم منزلة تليق بقدرهم يقول الشاعر(١٤٣):

قَـالُوا تَجَشَّـمَ زَائِـرٌ مِـنْ بَيْتِـهِ فَأَجَبْتُهُمْ وَالنَّجْـمُ بَيْـنَ سُـعودِي

لَوْ كَانَ مَلَّكَنِي الْكِـرَامُ خُدُودَهُـمْ لَفَرَشْـتُ أَرْضًـا تَحْتَـهُ بِخُـدُودِ

وشاعرٌ آخر يتبدى له أحد الضيوف فيصف لقاءه(١٤٤):

إِذَا مَـا تَبَـدَّى لَنَـا طَالِعًـا حَلَلْنَـا الْحُبَـا وَابْتَدَرْنَـا الْقِيَامَـا

فَـلاَ تُنْكِـرَنّ قِيَـامِي إِلَيْـهِ فَـإِنَّ الكَرِيْـمَ يُجِـلُّ الكِرامَـا

والبحتري في قصيدته بشاشة التلاقي يجزم بأن لا شيء يعدل بشاشة التلاقي في قوله(١٤٥):

مَـا لِشَـيءٍ بَشَاشَـةٌ بَعْـدَ شَـيءٍ كَتَـلاقِ مُوَاشِـكٍ بَعْـدَ بَيْـنِ

وسهل الوراق يسير على النهج نفسه عند لقاء الضيوف بل يطلب من المضيف أن يبدأ الحديث أولاً حتى يطمئن ويرتاح الضيف إليه ولينتزع رهبة اللقاء فيقول(١٤٦):

وَضَيْفُـكَ قَابِلْـهُ بِبِشْـرِكَ وَلْيَكُـنْ لَهُ مِنْـكَ أَبْكَـارُ الحَدِيـثِ وَعُونُـهُ

(١٤٣) الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج٣، ص٣٢.

(١٤٤) ابن عبد البر النمري القرطبي: بهجة المجالس، ج١ ص٤٤.

(١٤٥) البحتري، الوليد بن عبيد الله الطائي: ديوانه، دار بيروت، بيروت، ص٩.

(١٤٦) القرطبي، ابن عبد البر: بهجة المجالس، ج١ ص ٢٩٨.

www.mtenback.com

إن اللقاء الجميل يغني السائل عن سؤاله، يقول العرجي[١٤٧]:

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيْمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيْكَ وَالتَّسْلِيمُ

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَئِيْمٍ حَاجَةً فَأَلِحَّ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيْمُ

والتودد إلى الناس والتحبب إليهم يتمثل في بشاشتنا لهم وحديثنا الدافئ مع بسط وجوهنا أمامهم، وفي تقديمنا للهدايا والعطايا وفي التقرب والتواصل والإقبال.

فالود خلق عربي أصيل أكده الإسلام، فالله جل وعلا (ودود)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[١٤٨].

يقول معاذ بن جبل: «إذا أحببت رجلاً فابذل له مالك، وأخلص له ودّك، ولذوي الفاقة رفدك، وللعامة بشرك، ولعدوّك عدلك، وشح بدينك وعرضك على كل أحد»[١٤٩].

وتلمّس المودة يجعل الطريق مشرعًا وهيّنًا للسؤال، فالبشاشة تغذي المودة، يقول أبو تمام[١٥٠]:

وَإِلَى ابْنِ حَسَّانَ اغْتَدتْ بِي هِمَّةٌ وَقَفَتْ عَلَيْهِ خِلَّتِي وَإِخَائِي

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَذَوْتَ مَوَدَّتِي بِالبِشْرِ وَاسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِي

---

[١٤٧] ابن عبد البر النمري القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٣٢٢؛ وابن مفلح المقدسي، عبد الله بن محمد: الآداب الشرعية، حققه: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج٢، ص١٧٠، ونسبهما لأبي الأسود.

[١٤٨] سورة الروم: ٢١.

[١٤٩] ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ص١٥٤.

[١٥٠] أبو تمام: ديوان أبي تمام ص١٥.

www.mtenback.com

أَنْبَطْتَ في قَلْبِـــي لِوَأْيِـكَ مَشْـرَعًا ظَلَّتْ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِـي[١٥١]

ثم إن سعة الصدر ورحابة الخلق وبسط الوجه وصفاء النفس وسماحة الطالع هي البشاشة بعينها، والظاهر الجميل يجب أن يعكس باطنًا سليمًا، والشاعر يقول[١٥٢]:

أُحِـبُّ المَـرْءَ ظَـاهِرُهُ جَمِيـلٌ لِصَاحِبِـهِ وَبَاطِنُـهُ سَـلِيمُ

وكذلك العفو عن الآخرين والتغاضي عن عيوبهم يقرّب الناس من بعضهم، ويعبر عن أريحية تطيق احتمال أولئك الناس، يقول ثعلب[١٥٣]:

أُغَمِّضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيْقِـي تَجَشُّـمًا كَأَنِّي بِمَا يَأْتِي مِـنَ الأَمْـرِ جَـاهِلُ

وَمَا بِـي جَهْـلٌ غَـيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِـي تُطِيقُ احْتِمَالَ الكُرْهِ فِيمَـا تُحَـاوِلُ

وأبو العتاهية يدرك قيمة البشاشة وسماحة النفس ويجسد ما يجب أن يقابل بـه الإحسان وهو أن تتسع الأخلاق وتحسن المعاملة ويزداد السرور فيقول[١٥٤]:

كُـلُّ مَـنْ لَـمْ تَتَّسِـعْ أَخْلاَقُـهُ بَعْـدَ إِحْسَـانٍ إِلَيْـهِ يَنْسَـحِقُ

وطرفة بن العبد يوصي باللطف بالناس، والتغاضي عن هفواتهم، وملاقاتهم بالبشر وسعة الصدر وغفران خطاياهم ونسيان ما تسمع منهم ليحسن حال الصلة بهم التي لابد منها فيقول[١٥٥]:

خَـالِقِ النَّـاسَ بِخُلْـقٍ وَاسِـعٍ لاَ تَكُنْ كَلْبًـا عَلَـى النَّـاسِ تَهُـرْ

وَالْقَهُـمْ فِيـكَ بِبِشْـرٍ ثُـمَّ كُـنْ لِلَّـذِي تَسْـمَعُ مِنْهُـم مُغْتَفِـرْ

---

[١٥١] أنبط الحافر الماء : استخرجه، الوأي : الوعد، المشرع : الموضع الذي يشرع فيه للورود.

[١٥٢] العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين: المخلاة، نسقه ووضع هوامشه محمد خليل الباشا بيروت، عالم الكتب، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٤٧٥.

[١٥٣] أبو البركات، بدر الدين محمد الغزي : آداب العشرة ص١١٢.

[١٥٤] أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية، ص٢٤٧.

[١٥٥] ديوان طرفة بن العبد، ص٦٣.

www.mtenback.com

فإن تزجر الناس ينفضُّوا من حولك، وإن تقرعهم يرحلوا عنك، وإن تلقهم بمعاتباتك ونهرك لهم يحقدوا عليك ويكرهوك، لذلك عليك أن تلبس ثوب البشاشة لهم، وأن تقابلهم ببشرك وانشراح صدرك، وابن المقفع يذكر ذلك ليذكرنا به وهو يؤدب الملوك أن هذه أخلاق عالية، وأن الناس مختلفون في تقدير التعامل، ولكنه يجعل من شروط لباس الخاصة ــ أي الظهور أمامهم ــ أن يخلع عندهم لباس التشدد، ويلبس الأنسة واللطفة والبذلة والمُفاوضة [١٥٦].

إن مفاهيم التواضع واللين وسلامة الصدر، ومداراة الناس، والسمع والبصر، والمحادثة، والسماح، والتودد، واللطف في المسألة، والجود والكرم، وإقراء الضيف، وسعة الذراع، وغيرها، كلها عوامل ربط بين الناس، ووسائل العيش الآمن المستقر المبني على المحبة والملاطفة.

فالبشاشة والتواضع مترابطان حيث يكون التواضع طبع النفس السمحة، وليست البشاشة إلا علامة أكيدة على تواضع صاحبها، والوجه الباش يفصح عن نفس بعيدة كل البعد عن التيه والكبر، فالله يأمر الإنسان ألا يُشيح بوجهه عن أخيه، وألا يتكبر، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٥٧]، والرسول الكريم يحبب أصحابه في التواضع، ويجعله من القيم التي ترفع قدر المؤمن ليس فقط في الدنيا، بل في الآخرة أيضًا، وتقربه من الرسول الكريم، يقول: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا»[١٥٨]. والرسول ﷺ جمع الناس حوله لبشاشته، ولو لم يكن باشًا لابتعدوا عنه،

---

[١٥٦] ابن المقفع، عبد الله: الأدب الصغير، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط١، (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، ص٢١

[١٥٧] لقمان : ١٨، وورد في تفسير الجلالين ص٥٤٥ : لا تصعر خدك، لا تمل خدك عنهم تكبرًا.

[١٥٨] الترمذي: جامع الترمذي كتاب البر والصلة، رقم ٢٠١٨.

www.mtenback.com

فقد ورد في الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[١٥٩].

والبشاشة تنطلق من نفس مطواعة، وكما قيل: «المؤمنون هينون لينون»[١٦٠].

فاللين مطلوب إلى جانب الجد، يقول أبو تمام[١٦١]:

الْمَجْدُ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ ... سَمْحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

شَرِسٌ وَيَتْبَعُ ذَاكَ لِينُ خَلِيقَةٍ ... لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تُخْطَبِ

والإنسان يواجه في حياته أناسًا مختلفي الطباع ومتعددي الأمزجة وعليه أن يتعامل مع هؤلاء الناس بشيء من الحكمة، وأن يفتح صدره لكل ما يعترضه، وأن يحسن التصرف في أكثر المواقف حرجًا، ويحكّم عقله فيما يفعل، ويستوعب جميع النماذج التي يمر بها، وذلك لتسير حياته إلى الأمام بهدوء وسلام، والتعامل المباشر مع الناس وفق ما يرونه يحتاج إلى حلول ناجعة منها استيعاب الفظ من الناس والغليظ منهم والسفيه، ومن طرق استيعابه السكوت حتى لو كان الإنسان قادرًا على الرد،فليس من الضرورة أن يكون السكوت عجزًا ولكنه ترفع عن مجاراة ما لا يليق بالمرء كما قال الشاعر[١٦٢]:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُّ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي ... عَيِيتُ عَنِ الجَوَابِ وَمَا عَيِيتُ

---

[١٥٩] سورة آل عمران: ١٥٩.

[١٦٠] الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن (٦٨/١).

[١٦١] أبو تمام: ديوانه، ص٢٣.

[١٦٢] الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الشافعي، دار عالم الكتب، بيروت، ص٧٨.

www.mtenback.com

فنّ التعامل:

ولو قلنا إن البشاشة فن يتمثل في مداراة الناس لما أخطأنا، فالبشاشة تمنع المرء من الوجوم والتقطيب والعبوس، وتدفعه إلى التبسم، وتمنع التشاغل عن الآخرين، وتحل الاهتمام، وتمنع الحقد وتحل الحب، وترفض ضيق الصدر وتقبل سعته، وترفض الرعونة وتقرب اللطف وتأمر به، وتدعو إلى الصبر والتحمل، وتغلب الحلم والتجاوز، والسنة الشريفة أمرت بذلك يقول ﷺ: «مداراة الناس صدقة»[١٦٣] ومن مأثور القول عن الحسن بن علي: «حُسنُ السؤال نصفُ العلم، ومُداراة الناس نصف العقل»[١٦٤].

والمداراة مطلوبة من الكبير ومن الصغير، من الوزير والأمير ومن العامة، والخاصة، ومن الملك والساسة، وتعد جزءًا كبيرًا من الدبلوماسية اليوم في علاقاتها الداخلية وفي علاقاتها الخارجية.

ولذلك قال العتابي: «المداراة سياسة لطيفة لايستغني عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع،ويدفعون بها المضار، فمن كثرت مداراته، كان في ذمة الحمد والسلامة»[١٦٥].

وقال الشاعر[١٦٦]:

مَنْ سَالَمَ النَّاسَ سَالَمُوهُ وَكَانَ فِي ذِمَّةِ السَّلاَمَه

والإنسان مهما كانت منزلته وعلا وارتفع شأنه فهو بحاجة إلى مداراة الناس، ومادام يعيش بين ظهرانيهم فإنه لايستطيع أن يعزل نفسه عنهم، والحياة تتطلب منه

---

[١٦٣] القرطبي: بهجة المجالس م١، قسم١، ص٦٦٣.

[١٦٤] أخرجه ابن حبان ٤٧١. وابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج٢، ص٢٨.

[١٦٥] ابن هذيل: عين الأدب والسياسة، ج٢، ص١٥٤.

[١٦٦] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٥.

www.mtenback.com

المداراة والمجاملة، وما يرضي الناس ويلطف مشاعرهم. وقد ذهب الشاعر أبو سليمان الخطابي أبعد من ذلك حين قال[١٦٧]:

مَادُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمُدَارَاةِ

مَنْ يَدْرِ دَارَى وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى ... عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ

فحق على المرء أن يروض نفسه على الطباع الحسنة ويخفض جناحه لإخوانه ويتعلّم معاشرة الناس ولايفرض عليهم شروط التعامل معه.

يقول الشاعر موضحًا رأيه[١٦٨]:

اِزْرَعْ جَمِيلاً وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ... فَلا يَضِيعُ جَمِيلٌ حَيْثُمَا زُرِعَا

وقد قال بعضهم: «رأس المداراة ترك المماراة»[١٦٩].

وروى الطبراني وغيره : «أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس»[١٧٠].

وهذه كلها سياسة ممكنة قد تحول البغض والكره إلى محبة وصفاء، أو تترك الأمور تسير دون شحناء وبغضاء.

كما قال الشاعر[١٧١]:

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي حِينَ رُؤْيَتِهِ ... لأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

---

[١٦٧] الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم الأدباء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٩٧٩) ج٤، ص٢٥٨، وابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية. (٨٤/١).

[١٦٨] يعقوب، إميل: معجم لآلئ الشعر، بيروت، الأردن، سوريا (المجموعة) دار صادر، دار المؤلف، دار الفكر، دار الشروق، ط٢ (١٩٩٨م)، ص٢٢٨.

[١٦٩] المقدسي، ابن مفلح: الآداب الشرعية، ج٣، ص٤٥٢.

[١٧٠] أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق برقم ١.٣٩.

[١٧١] الشافعي، ديوانه، جمعه: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، ص٢٨.

www.mtenback.com

وَأُظْهِرُ البِشْـــرَ للإِنْسَـــانِ أُبْغِضُـــهُ كَأَنَّهُ إِنْ قَد حَشَـــا قَلْبِـــي مَحَبَّـــاتِ

وبعض الناس صعب في تعامله، لا يعجبه العجب، ويطلب أكثر مما يعطي، ومثل هذا إمَّا أن تقطع الصلة به فتكون قد فقدت عنصر الصبر والروية والبشاشة لمن تحـــب ومن لا تحب، وإمّا أن تتصبر وتحتسب أجر صبرك لقاء حفاظك على آصـــرة الربـــاط الاجتماعي بينك وبينه، يقول الشاعر(١٧٢):

وَقَدْ بُلِيْنَا بِقَـــوْمٍ لاَ خَـــلاَقَ لَهُـــمْ إِلَى مُدَارَاتِهِمْ تَدْعُـــو الضَّـــرُورَاتُ

فالمداراة تفرض أن يصفو قلب المرء من أحقاده فيزكو ويتطهر، وتبث فيه الحُلُم الذي يدل على قوة لا على ذل، والحلم ليس ضعفًا بل تعقلاً ويجب ألاّ يلام حليم على حلمه إن كان قادراً وقويًا يستطيع أن ينتصر من السفهاء.

ويقول الخريمي(١٧٣):

أَرَى الحِلْمَ فِي بَعْضِ المَوَاطِـــنِ ذِلّـــةً وَفِي بَعْضِهَا عِـــزًّا يُسَـــوِّدُ صَاحِبَـــهْ

ومما يذكر أن أبا دهمان قال لسعيد بن مسلم حين وقف ببابه فحجبه حينًا ثـــم أذن له، فمثل بين يديه: «إنّ هذا الأمر الذي صار إليك وفي يديك، قد كان في يـــدي غيرك، فأمسى والله حديثًا، إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر فتحبب إلى عباد الله بحُســـن البِشر وتسهيل الحجاب ولين الجانب فإنّ حبّ عباد الله موصول بحب الله؛ وبغضهـــم موصول ببغض الله؛ لأنهم شهداء الله على خلقه، ورقباؤه علـــى مـــن اعْـــوَجّ عـــن سبيله»(١٧٤).

إن أول البشاشة النظر في وجه محدثك، فلا تغفل عنه لئلا يشـــعر بالإهمـــال والثاني التوسيع له بالمجلس لرفع قدره، والثالث الاستماع إليه إذا حدّث لكي لا يحـــسّ

(١٧٢) المقدسي ابن مفلح: الآداب الشرعية (١/٨٤).

(١٧٣) الخريمي: ديوان الخريمي، ص١٧.

(١٧٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد (٢/١٥٠).

www.mtenback.com

بغربة أو إحراج، وفي أدب البصر يقول أبو البركات: «لضيفك أو محدّثك حقٌ عليك فأدب البصر نظرك للأخ بالمودة التي يعرفها منك هو والحاضرون، ناظرًا إلى أحسن شيء يبدو، غير صارفٍ بصرك عنه في حديثه لك»[١٧٥]، ومن هنا نشأ ما يُسمّى بأدب العين وأدب الأذن أو أدب السمع، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لجليسي عليّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأُوسّع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدّث»[١٧٦]. وأدب السمع يكون بإظهار التلذذ والانجذاب إلى المتحدث بكامل الاهتمام كما قال ابن المقفع: «تعلّم حُسن الاستماع، كما تتعلّم حُسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلّة التقلّب إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول»[١٧٧].

فمن حق المتكلم علينا ألاّ نتشاغل عنه، والناس لهم الظاهر يحتكمون إليه ومن ذلك قول الجنيد لأبي حفص: «أدّبت أصحابك أدب السلاطين؟ فقال: لا، يا أبا قاسم، ولكن حُسنَ أدبِ الظاهر عنوان أدب الباطن»[١٧٨].

لأن الاعتبار يتم على مافي العين أي الظاهر من الإنسان والله وحده يعرف مافي القلب ومافي الضمائر، وقد قيل: «اعتبر مافي قلب أخيك بعينه فالعين عنوان القلب»[١٧٩].

وقيل أيضًا: «الاعتبار على مافي العين والاعتماد على مافي القلب»[١٨٠].

---

[١٧٥] أبو البركات، آداب العشرة ص٧٥.

[١٧٦] المرجع السابق ص٢٤.

[١٧٧] ابن المقفع: الأدب الكبير والأدب الصغير- ص.ص١٢٩-١٣٠.

[١٧٨] أبو البركات، آداب العشرة ص٧٨.

[١٧٩] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (٨/٣).

[١٨٠] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

ومن ذلك يقول خالد بن صفوان في وصف رجل «يقري العين جمـــالاً والأذن بيانًا» وكون العين مرآة القلب يقول ابن بسام[١٨١]:

أَلاَ إِنَّ عَيْـنَ المَـرْءِ عِنْـوانُ قَلْبِـــهِ تُخَبِّرُ عَـنْ أَسْـرَارِهِ شَـاءَ أَمْ أَبَـى

وما ذلك إلا لأن القلب لا يستطيع إخفاء الحبور والسرور الذي يشعر بهما ولا يستطيع كتمان البشاشة فهي كالحب تظهر علاماته مهما حاول المرء إخفاءه وفي ذلك يقول كشاجم[١٨٢]:

وَيَأبَى الَّذِي فِي القَلْـــبِ إِلاَّ تَبَيُّنًـــا وَكُلُّ إِنَـــاءٍ بِـــالَّذِي فِيـــهِ يَنْضَـــحُ

والعين دليل صادق على المحبة أو على البغض وقد قيل: «شاهد الحب والبغض اللحظ، فاستنطق العيون تعلم المكنون»[١٨٣].

والبشاشة معنى شامل، فهي حسن النظر وحسن الاستماع، وهي خلق كريـــم يجب تربية الناشئة عليه وتدريبهم على ممارسته، وهي من الآداب التي يجب تمثلها عنـــد ملاقاة الناس وعند الجلوس إليهم.

بشاشة المجالسة :

يأنس الفرد لصديقه وأخيه فيرغب في مجالسته، فإذا رأى صدرًا رحبًا، وإقبـــالاً بالوجه والمحيا ألف ذلك المجلس وأنس به، وارتاحت أسارير وجهه لمثل ذلك المجلس، مما يولد المودة ويبعث على الاطمئنان.

---

[١٨١] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، (٢٧٧/١).

[١٨٢] كشاجم: محمود بن الحسين، ديوان كشاجم، تقديم وشرح: مجيد طـــراد، دار صـــادر، بـــيروت، (١٩٧٧) ص٦٠.

[١٨٣] الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، (٣/٨-٩).

www.mtenback.com

وعلى العكس فإن المجلس الذي لا يعرف فيه صاحبه مجاملة الآخرين والبشاشة في وجوههم، وحسن الترحيب بهم، يُشعر الجالسين بالضيق، وينفرهم منه، ويولد في صدورهم الكره والنفور والرغبة في إنهاء الجلسة ومغادرة المجلس وربما عدم الشعور في الرغبة في العودة إلى ذلك المجلس.

ومن أجل ذلك فيجب على المزور ألاّ يتشاغل عن ضيفه بأشياء تشعره بالضيق والنفور منه، كالنظر إلى الساعة، وإجراء المكالمات الهاتفية، والصمت وترك المحادثة، وعدم الإقبال عليه، وقد أثر عن العرب وصايا في هذا المجال تدعو إلى البشاشة وحسن المجالسة.

ومن ذلك ما ورد عن سعيد بن العاص قوله : لجليسي عليّ ثلاث خصال: «إذا دنا رحبتُ به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدّث أقبلت عليه»[184] وقد أوصى يحيى ابن خالد مؤدب ابنه أن يعلمه كيف يكون أدب الجلوس فقال: «يابني إذا حدثك جليسك حديثًا فأقبل عليه وأصغ إليه، ولاتقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه فإن ذلك يُكسبُك المحبة والميل إليك»[185].

وقد روى الأصمعي قال: قال الأحنف بن قيس: «لو جلس إليّ مئةٌ لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد منهم»[186].

يقول كشاجم مفسرًا هذا التعلق بين البشاشة والمجالسة وأن المجالسة خطوة في طريق البشاشة أو وردة في بستان البشاشة المتنوع الألوان والمختلف الروائح فكل وردة عطرة غير رائحة صاحبتها[187]:

---

(184) القرطبي: بهجة المجالس، ج١، قسم ١، ص٤٢.

(185) المصدر السابق، ج١، قسم أول، ص٤٥.

(186) المصدر السابق، ج١، قسم أول، ص٤٢.

(187) كشاجم، محمود بن الحسين: ديوان كشاجم، ص١٣٥ وانظر: القرطبي: في بهجة المجالس م١، ج١، ص٤٥.

www.mtenback.com

وَجليـــسٍ لي أخـــي ثِقَـــةٍ كَـــأنّ حَديثَـــهُ خَـــبَرَهْ
يَسُـــرُّكَ حُسْـــنُ ظَـــاهِرِهِ ويُحْمَـــدُ منْـــهُ مُحْتَضَـــرَهْ
ويَسْـــتُرُ عَيْـــبَ صَاحِبِـــهِ وَيَسْـــتُرُ أنّـــهُ سَـــتَرَهْ

فحسن المجالسة بطلاقة الوجه وانبساطه، والإقبال علـى الأضيـاف وحسـن الترحيب بهم، والتوسعة لهم هي البشاشة بعينها، وهذه بعض حقوق الجليس، وهذا هو أدب المجالسة، فحين تعلم أنّ الضيف مسرور لوفوده، ويشعر أنه خفيف ساعتها يكون المستضيف قد أدى واجبه تمامًا، فالعلوي صاحب الزنج يصف لنـا حالـة الضيـف عنده[١٨٨]:

يَسْتَأْنِسُ الضَّيْفُ فِـي أَبْيَاتِنَـا أَبَـدًا فَلَيْسَ يَعْلَـمُ خَلْـقٌ أَيُّنَـا الضَّيْـفُ

وهذه مرحلة لا يصل إليها إلا من عرف كيف يحسن استقبال الضيف، وكيف يكرمه ويُشعره بأنه في منزله، لا فرق بينه وبين صاحب المـنزل، فيحـس بالراحـة والاطمئنان، وتتولد في قلبه مودة للمضيف الذي بالغ في إكرامه لدرجة أن من رآهمـا لم يعرف أيهما صاحب المنزل، وهؤلاء الذين يصلون إلى هذه المرتبة العظيمة من حسن الضيافة بالبشاشة والمباسطة والترحيب هم من خيرة الناس، وأصحاب السبق في مكارم الأخلاق.

قال ابن دريد[١٨٩]:

تَلْقَـى الكَرِيـمَ فَتَسْـتَدِلُّ بِبِشْـرِهِ وَتَرى العُبُوسَ عَلَـى اللَّئِيـمِ دَلِيـلا

---

[١٨٨] القرطبي: بهجة المجالس، (٢٩٦/١)، وابن مفلح المقدسي: الآداب الشرعية (٢٣/٢).

[١٨٩] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام البخاري دار إحياء التراث العربـي، لبنان، بيروت، ط١، (١٤١٦هـ) ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.

www.mtenback.com

بشاشة المحادثة:

وخير ما جاء في حسن الحديث قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١٩٠]، وفي آية أخرى أمر سبحانه موسى وهارون عليهما السلام بلين القول لفرعون، وهو عدوهما اللدود، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[١٩١] أي ليِّنا ميسوراً كريمًا يقرب إلى الحق، ولا يباعد منه، وهذا مع العدو، فكيف مع الصديق والقريب.

والإنسان الذي يحسن الحديث يقرّب الناس بعضهم من بعض ويجمعهم تحت راية الخير وتحت كلمة الحق، والإنسان وفق مايبيّنه القرآن فُطِر على الخير وجاءت الشريعة لتهذب أخلاقه وتنوّر طريقه وتعلّمه كيف يتعامل مع الناس ومع كل شيءٍ موجود في الكون الذي يعيش فيه، وجاءت الهداية الربانية لتمثل الأخلاق الحسنة ولتحث على العمل بها، ومنها المحادثة،فبيّن الخالق أن الإنسان هُدي إلى محادثة الناس بمنطق حسن ندي، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[١٩٢].

وأمر الله نبيه أن يتكلّم برفق وبهدوء دون تكبر أو غضب، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٩٣].

---

[١٩٠] سورة البقرة: ٨٣.

[١٩١] سورة طه: ٤٤.

[١٩٢] سورة الحج: ٢٤.

[١٩٣] سورة النحل: ١٢٥.

www.mtenback.com

ورتب على ذلك تغير حالهم من العداوة والبغضاء إلى الولاء والمحبة، وذلك بقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١٩٤].

والرسول الكريم يجعل الكلام الطيّب سببًا في الغفران يوم القيامة: «من موجبات المغفرة طيب الكلام»[١٩٥]، وجاء في الحكم ثلاثة تزيد في الأنس: «الزيارة، والمؤاكلة، والمحادثة»[١٩٦]، فالأنس أول البشاشة إذ يفتح الحديث مع الآخر أبوابًا للمحبة، وينتزع رهبة اللقاء، ويفرش للودّ طريقًا مملوءة بالوداد.

والعرب كانت تهتم بهذه الخصلة الكريمة، فالعربي يلجأ إلى تثقيف نفسه ويهتم بتطبيق مايسمع أو يحفظ أو يروي، وهذا من أساسيات حياته واستمراره، فقد عرف عن العربي أنه مضياف والضيافة لايترتب عليها الطعام فقط بل المحادثة وهنا تكمن البشاشة ويمكننا القول إنّ البشاشة تستمر بالمحادثة فهي جزؤها العملي الملموس؛ وإلاّ فإن بشاشة الترحيب تفتر، وقد عرف عن العربي أنه جليس أنيس، يقول الأخبار والأشعار، والحكايات، والقصص، ويعتني في طريقة صياغتها، ويعد هذا العمل من أهم طرق الاتصال بين الناس، وهو طريق من طرق تثقيف العربي قديمًا، فالمحادثة كما قلنا مفتاح القلوب وهي إحدى المكرمات التي تقاس بها درجة اهتمام المضيف بضيفه كما يقاس بها قدر الضيف عند مضيفه.

والإحسان إلى الناس من أخلاق العرب حتى مع الأعداء، لأن الإحسان إليهم قد يقلب العداوة إلى محبة. وفي مثل هذا قال أبو الفتح البستي[١٩٧]:

---

[١٩٤] سورة فصلت: ٣٤.

[١٩٥] أبو البركات: آداب العشرة، ص٤٢.

[١٩٦] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء (٣٢/٣).

[١٩٧] ابن هذيل، عين الأدب والسياسة ص١٥٤.

www.mtenback.com

أَحْسِنْ إِلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ ... فطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ
وإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي ... عُرُوضِ زَلَّتِهِ عَفْوٌ وغُفْرَانُ

والشاعر عروة بن الورد يصور الإحسان إلى ضيفه في مجموعة من القيم الدالة على الكرم، فهو لم يقف عند بذل الطعام له ولكنه جعله جزءًا من الكرم الشامل الذي أجمله في قوله[١٩٨]:

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ والبَيْتُ بَيْتُهُ ... ولَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ
أُحَدِّثُهُ إِنَّ الحَدِيْثَ مِنَ القِرَى ... وَتَعْلَمُ نَفسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

فهو لايهمل ضيفه بل يحدثه ويلاطفه ويبعد عنه الوحشة والوحدة، ويشعره بالأنس والمحبة في حديثه، وليس فقط أثناء قراه بل قبله وبعده، وابن الأعرابي يعدُ الحديث طرفًا من القِرى وما بعد القِرى يقوم المضيف بإعداد مكان لنوم الضيف[١٩٩]:

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الفَتَى ... ونِعْمَ مَأْوَى طَارِقٍ إِذا أَتَى
إِنَّ الحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَى ... ثُمَّ اللِّحَافُ بَعْدَ ذَاكَ فِي الذِّرَى

وما أحوج المَدَنيَّةَ اليوم إلى مثل هذا السلوك، فاتجاه الناس إلى العزلة أمرٌ مرعب يثير القلق أصبح الناس في غربة عن بعضهم كأنما كل واحدٍ في جزيرة منفصلة، وخاصة في المدن الكبيرة، حيث تحجبهم الجدران، ويفصل بينهم الجفاء، ويكاد الواحد منهم

---

[١٩٨] ابن الورد عروة، ديوانه، ص٨٣.

[١٩٩] الجريري: أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: دراسة وتحقيق: الدكتور محمد مرسي الخولي، بيروت، دار عالم الكتب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ج٢، ص٣٤٣، وانظر: الشمّاخ: ديوان الشمّاخ بن ضرار، تحقيق صلاح الدين الهادي، مصر، دار المعارف (١٩٦٨م)، ص ٤٦٧.

www.mtenback.com

لايعرف الآخر ولوكان هذا الآخر يسكن معه في البناء أو الطابق نفسه. إن المحادثة تولد بين الناس المحبة وتجعلهم قريبين من بعضهم وتنمي بينهم الألفة، فيتحولون إلى أحباب وأصحاب بدلاً من العزلة والشعور بالغربة، ويجب أن يكون الحديث للضيف خفيفًا طيبًا ينطلق من لسان يلهج بالترحيب والمودة وينطلق من قلب صادق لأن اللسان يظهر ما في القلب كما يقول الأخطل[٢٠٠]:

إِنَّ الكَلامَ مِنَ الفُؤادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ علَى الفُؤادِ دَلِيلا

فاللسان هو الكاشف للضمائر إذا استعصت الأدوات الأخرى على الإيضاح، وفي المثل «الكلام الحسن مصايد القلوب»[٢٠١].

وهنا نصل إلى أن النطق شاهد ودليل على مافي القلب ومرآة عاكسة له لمحمل العواطف، وأيضًا فإنه يحبب الناس ببعضهم ويفتح القلوب ويدل على مكنونها.

وإذا كان الشخص يتميز بقدرة على الحديث فيجب عليه أن يساعد أخاه، وصديقه وضيفه، ويبادره بالحديث حتى يهوّن له سبيل الكلام، يقول سهل الوّراق[٢٠٢]:

وَضَيْفُكَ قَابِلْهُ بِبِشْرِكَ وَلْيَكُنْ لَهُ مِنْكَ أَبكَارُ الحَدِيثِ وَعُونُهُ

وما أجمل أن تكون المبادرة هذه من الكبير والمسؤول أو الحاكم، لأنها تفتح مجالاً لكسر حجاب الخوف وحاجز الهيبة، يقول ابن عباس: «ورد علينا الوليد بن عُتبة

---

[٢٠٠] الوشاء، ابن يحيى: الظرف والظرفاء ص٨. والجاحظ، عمرو بن بحر : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٢١٨.

[٢٠١] ابن عبدالبر النمري القرطبي، بهجة المجالس، ج١، ص٢٩٨، وابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية (٢٣/٢).

[٢٠٢] ابن هذيل: عين الأدب والسياسة، ص١٥٢. وابن عبد البر النمري القرطبي، بهجة المجالس، ج٢، ص٢٩٨.

www.mtenback.com

المدينة واليًا، وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف، فوالله ماترك فقيرًا إلا أغناه، ولا مديونًا إلا أدى دينه، وكان ينظر إلينا بعين أرق من الماء وكلّمنا بكلام أحلى من الجُلاّب»[٢٠٣].

أما عند حال المحبين فحديث المحبوب حلو على السمع والقلب معًا ولا يعدله شيء، يقول أبو تمام[٢٠٤]:

أَحَادِيثُهَا دُرٌّ وَدُرٌّ كَلامُهَا ... وَلَمْ أَرَ دُرًّا قَبْلَهُ يَنْظِمُ الدُّرّا

وفي قصيدة أخرى يصف حديثها الحسن الجميل بقوله[٢٠٥]:

بِأَبِي لَفْظُكِ المَلِيحُ الَّذِي قَدْ ... تَرَكَ السَّمعَ وَهْوَ وَقْفٌ عَلَيْكا

كَيْفَ لا يَسْتَبِدُّ بِالحُسْنِ لَفْظٌ ... كُلَّمَا شِئْتَ جَالَ فِي شَفَتَيْكا

وبشار بن برد يصف الأحاديث المتنوعة بالبساتين والحدائق ذات الزهور المختلفة فيقول[٢٠٦]:

وَكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا ... قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِيْنَ زَهْرَا

ومثله قول الشاعر الآخر[٢٠٧]:

تَجْتَلِي الأُذْنُ مِنْهُ أَحْسَنَ مِمَّا ... تَجْتَلِي العَيْنُ مِنْ وُجُوهِ البُدُورِ

---

[٢٠٣] كعكو أحمد حسين: محاسن الجود والكرم، ص١٨٤.

[٢٠٤] أبو تمام: ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ص ٤٤٥.

[٢٠٥] أبو تمام، ديوان أبي تمام ص٤٦٠.

[٢٠٦] ابن برد، بشار: ديوان بشار بن برد، تحقيق: بدر الدين العلوي، دار الثقافة، لبنان بيروت (١٤٠٣هـ)، ص١١٨.

[٢٠٧] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف(١/١١٤).

www.mtenback.com

بشاشة السماحة :

تقترب البشاشة من السماحة اقترابًا بينًا في المعنى والدلالة، بل إن السماحة تُجسد البشاشة وتُظهرها، فهي تعني التجاوز والغفران، وهي الخلق السمح، والصدر الواسع، وهي طلاقة الوجه وحسن الطالع، بل هي زين الفعال، وهي مطلوبة في التعامل اليومي، والحياة بشكل عام، والبشاشة تزين الحسب من خلال السماحة، كما قال الشاعر[٢٠٨]:

قَدْ زَيَّنُوا أَحْسَابَهُمْ بِسَمَاحِهِمْ ... لاَ خَيْرَ فِي حَسَبٍ بِغَيْرِ سَمَاحِ

ويتبين زهير بن أبي سلمى هذه البشاشة في خُلُق هرم وفي خَلْقه[٢٠٩]:

مَتَى تُلاَقِ عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمًا ... تَلْقَ السَّمَاحَةَ فِي خَلْقٍ وفِي خُلُقِ

والسماحة مطلوبة في التعامل اليومي، فالرسول ﷺ يقول : «رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى»[٢١٠].

وارتباط السماحة بالبشاشة يظهر من خلال هذا الشاهد، حيث يقرن الشاعر السماح بالغمام والمطر والفيض والماء، وذلك لترقرقها في الوجه، وتجمعها فيه، يقول أبو تمام[٢١١]:

وَأَخْلاقٌ كَأَنَّ المِسْكَ فِيهَا ... بِصَفْوِ الرَّاحِ وَالنُّطَفِ العِذَابِ

تَفِيضُ سَمَاحَةً وَالمُزْنُ مُكْدٍ ... وَتَقْطَعُ والحُسَامُ العَضْبُ نَابِ

---

[٢٠٨] ابن داود الأصبهاني، أبو بكر محمد، الزهرة، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وزميله، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار ط٢، (١٤٠٦هـ) ص٦٠٨.

[٢٠٩] ابن أبي سلمى، ديوان زهير، ص٥٣.

[٢١٠] البخاري : باب ١٦ من كتاب البيوع، برقم ٢٠٧٦، موسوعة الحديث الشريف.

[٢١١] أبو تمام، ديوانه، ص٥٧.

www.mtenback.com

واللطف مطلوب في الكلام وفي التصرفات ليظهر بشاشة الفرد وحُسن تصرفه واستخدام لطفه في استنجاح طلبه، يقول الحسن: «حسن السؤال نصف العلم»[٢١٢] وهذا القول يدعونا صراحةً إلى الارتقاء بمستوى أسئلتنا واللجوء الدائم أو البحث المستمر في حيثياتها والتثقيف الدائم لها أسلوبًا وصياغةً.

لأنّ اللطف يزرع الودّ بين الناس ويُعزّز عرى الصداقة والمحبة، فالشاعر يقول[٢١٣]:

قَدْ يَمْكُثُ النَّاسُ دَهْرًا لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وُدٌّ فَيَزْرَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ

واللطف من حسن الخلق، فالله يستعمل أصحاب الوجوه الباشة ذوي النفوس اللطيفة لقضاء حاجات الناس يقول عبدالله بن عمر: «خُلقان يُحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأمّا اللذان يُحبهما الله تعالى فالسخاء وحُسن الخلق، وأمّا اللذان يبغضهما الله عز وجل فالبخل وسوء الخلق، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله على قضاء حوائج الناس»[٢١٤].

ومن علامات اللطف قضاء حاجات المعوزين وهم موفورو ماء الوجوه، فإن لم يكن قضاء فلا أقل من صرفهم بالكلمة الحسنة الطيبة، يقول الشاعر[٢١٥]:

لِيَكُنْ لَدَيْكَ لِسَائِلٍ فَرَجٌ ... أَوْ لَمْ يَكُنْ فَلْيُحْسَنُ الرَّدُّ

والناس يقصدون الكريم والسمح والواسع الصدر واللطيف المعشر متوسمين بحسن وجهه خيرًا، لذلك يقول أبو تمام[٢١٦]:

---

[٢١٢] ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار(٢/٢٨).

[٢١٣] ابن عبد البر النمري القرطبي: بهجة المجالس، (١/٢٧٤).

[٢١٤] نقله السيوطي في الجامع الصغير، رقم (٣٩٢٤).

[٢١٥] شوشة فاروق: أحلى عشرين قصيدة حب، مكتبة مدبولي القاهرة، دار العودة، بيروت، (١٩٧٣)، والبيت من قصيدة الشاعر دوقلة المنبجي، ص١٦٢.

[٢١٦] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٢٣٨.

www.mtenback.com

وَجَدْنَاكَ أَنْـــدَى مِـــنْ رِجَـــالٍ أَنَـــامِلاً وَأَحْسَنَ فِي الحَاجَاتِ وَجْهًـــا وَأَجْمَـــلاَ
تُضِيءُ إِذَا اسْـــوَدَّ الزَّمَـــانُ وَبَعْضُهُـــمْ يَـــرَى المَـــوْتَ أَنْ يَنْهَـــلَّ أَوْ يَتَهَلَّـــلاَ

ولكن ثمة سؤال هنا: لماذا عُرف هؤلاء الرجال بلطفهم وبشاشتهم في وجـــوه سائليهم؟ ولماذا تميز بعضهم بكرم أو بحلم أو بلطف تجاه الآخرين؟

لماذا يسارعون إلى قضاء حاجات الناس وعونهم ؟ يقول جعفر الصادق: «إني لأسارع إلى قضاء حوائج الإخوان مخافة أن يستغنوا عني بردّي إياهم»[٢١٧].

واللطف كما قلنا مطلوب من السائل كما هو مطلوب من المسؤول، وأمامنـــا حالات كثيرة يعرض أصحابها حاجاتهم بلطف السؤال وحسن الكلام، وفيها أيضًا رد المسؤول وتأثره بطريقة العرْض:

قدم على زياد نفرٌ من العرب فقام خطيبهم فقال: أصلح الله الأمير! نحـــن، وإن كانت نزعت بنا أنفسنا إليك، وأنضينا ركائبنا نحوك التماسًا لفضل عطائك، عـــالمون بأنه لامانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، وإنما أنت أيها الأمير خازنٌ ونحن رائدون، فإن أذن لك فأعطيت حمدنا الله وشكرناك، وإن لم يؤذن لـــك فمنعـــت حمدنـــا الله وعذرناك، ثم جلس، فقال زياد لجلسائه: تالله ما رأيت كلامًا أبلغَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ثم أمر لهم بما يصلحهم[٢١٨].

وروي من حديث عمر : «إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين، أو ببذل يسير، أو رد جميل»[٢١٩].

---

[٢١٧] أبو البركات: أدب العشرة، ص٥٧.

[٢١٨] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار (م٢/١٢٧-١٢٨).

[٢١٩] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣/٣١٠). تفسير سورة البقرة الآية ٢٦٣.

www.mtenback.com

القيمة العملية للبشاشة:

البشاشة : الكرم، الجود، القرى، سعة الكف، وطول الذراع، التهلل، إشراق الوجه...

هذه المترادفات تدور في فلَك البشاشة، فلفظة الكرم، تقاربها وتقيم معها علاقة حميمة، ويبدو أن الكرم هو السمة التي تُظهر البشاشة قيمة محسوسة، والبشاشة قد تكون خبيئة في نفس الكريم توسّع صدره، وقد تكون متحركة في بشرة وجهه، أو ملموسة في طول ذراعه، وبسط كفه، يحسها هو طعمًا حلواً يلتذ به، يقول بشار العقيلي[٢٢٠]:

مَالكِيٌّ يَنْشَقُّ عَنْ وجْهِهِ الجَدْ ... بُ كَمَا انْشَقَّتِ الدُجَى عَنْ ضِيَاءِ
فُتُجُوجُ السَّمَاءِ فَيْضُ يَدَيْهِ ... لِقَرِيبٍ وَنَازِحِ الدّارِ نَاءِ
لَيْسَ يُعْطِيكَ للرَّجَاءِ وِلِلْخَوْ ... فِ وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ
لاَ وَلاَ أَنْ يُقَالَ شِيمَتُهُ الجُو ... دُ وَلَكِنْ طَبَائِعُ الآبَاءِ

ولكثرة الاهتمام بالضيف والحفاوة به والبش في وجهه، يُصبح الضيف من أهل الدار، ويُصبح المضيف كالضيف، يقول أبو تمام[٢٢١]:

وَكَأَنَّهُم في بِرِّهِمْ وَحَفَائِهِمْ ... بِالمُجْتَدِي الأَضْيَافُ لِلأَضْيَافِ

والعرب منذ الجاهلية حضوا على لقاء الضيف لقاءً حسنًا، تكون فيه الوجوه باشة متهللة، يقول الشاعر واصفًا المرحلة الأولى لاستقبال الضيف، وهي الابتسام، ثم المرحلة الثانية، وهي تقريب الطعام[٢٢٢]:

---

[٢٢٠] ابن عبد ربه، العقد الفريد، (١٧٩/١). ثج الماء: سال وانصب.

[٢٢١] أبو تمام، ديوانه ص١٩٤.

[٢٢٢] أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم ص٧٣.

www.mtenback.com

إِذَا الضَّيْـفُ جَـاءَكَ فَابْسِـمْ لَـهُ وَقَـرِّبْ إِلَيْـهِ وَشِـيكَ القِـرَى

ويبدو أن هذا الاستئناس وليد دعوةٍ مُلحّة ما فتئ العرب يعرضونها على من يتعرفون إليه، يقول الشاعر(٢٢٣):

يـا ضَيفَنَـا لَـوْ زُرْتَنَـا لَوَجَدْتَنَـا نَحنُ الضُّيُوفُ وَأَنْـتَ ربُّ المَـنْزِلِ

ويمكننا ربط البشاشة أيضًا بعطاء الكف وسخاء النفس، فالكرم لوحده لا يكفي، فقد يكون كرمًا عن كراهة، ولكن الكرم الحقيقي هو ما يخرج من النفس بسخاء، حيث ترافقه البشاشة والابتسامة، وإشراقة الوجه، يقول ابن نباتة في وصف ممدوحه(٢٢٤):

رَوَتْ عَنْكَ أَخْبَـارُ المعَـالِي محَاسِـنًا كَفَتْ بِلِسانِ الحَالِ عَنْ أَلْسُنِ الحَمْـدِ

فَوَجْهُكَ عَنْ بِشْرٍ وكَفُّكَ عَنْ عَطَـا وَخُلْقُكَ عَنْ سَهْلٍ وَرَأْيُكَ عَـنْ سَـعْدِ

والشريف الرضي يصف ممدوحه بالبشر والكرم بقوله(٢٢٥):

مَا زَالَ بِشْرُكَ في الأَزْمَـانِ يُؤْنِسُـها حتّى أَضاءَتْ سُرُورًا أَوْجُهُ الحِقَـبِ

يَقْرُونَ حتى لوانَّ الضَّيْـفَ فَـاتَهُمُ حَثُّوا إِلَيْهِ صُـدُورَ الأَيْنُـقِ النُجُـبِ

وهكذا نجد أنَّ البشاشة في واقع الأمر حالٌ متكاملة لها أمارات وعلامات وإشارات.. يفهمها المتلقي بحسّ إنساني طبيعي فيكون في نفسه صدىً حميد وأثرٌ طيب أو يضيق صدره بما يشعر عفواً بإعراض صاحبه وعدم بشاشته.. ولو أن الناس في مجتمعاتهم تحلّوا بأخلاق البشاشة ومظاهرها لانتشر من أثر ذلك خيرٌ كثير ولعمّت المحبة والتسامح قلوب الناس وساد في نفوسهم الود والخير والصلاح.

---

(٢٢٣) قبّش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر ص٢٩٩. والأبشيهي، المستطرف (١٠٧/٢).

(٢٢٤) المناوي: عبد الرؤوف، الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود، ص٩٢.

(٢٢٥) الشريف الرضي، محمد بن الحسين: ديوان الشريف الرضي، دار بيروت، بيروت، ص٩٨.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا... الآية﴾	٨٣	١٢، ٦٥
آل عمران	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا.. الآية﴾	١٥٩	٥٧
النساء	﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا... الآية﴾	٨٦	١١، ٤٩
النحل	﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... الآية﴾	١٢٥	٦٥
طه	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى... الآية﴾	٤٤	٦٥
الحج	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى... الآية﴾	٢٤	١٢، ٦٥
الروم	﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً... الآية﴾	٢١	٥٤
لقمان	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي... الآية﴾	١٨	٥٦
الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ.. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ.. الآية﴾	٤٥-٤٧	١٢
فصلت	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ... الآية﴾	٣٤-٣٥	٢٤، ٦٦
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ... الآية﴾	٤	١٥
القيامة	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ... الآية﴾	٢٢-٢٣	١٣
عبس	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى... الآية﴾	١-٢	١٣
الضحى	﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ... الآية﴾	١٠	١٤

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا أبردتم إلي بريداً...»	٣٢
«إذا اجتمع المسلمان فتذاكرا، غفر الله لأبشهما بصاحبه»	٥
«إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته»	٧٢
«إذا التقى المتحابان فبش بعضهم إلى بعض»	١٥
«إذا التقى المؤمنان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما»	١٦
«اطلبوا الحاجات عند حسان الوجوه»	٣٤
«أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس»	٥٩
«أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».	١٥
«إن تبسمك في وجه أخيك صدقة»	١٦
«إنّ الله جعل للمعروف وجوهاً من خلقه»	٣٥
«إن من أحبكم إليّ»	٥٦
«رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع...»	٧٠
«كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس»	٤٥
«كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني»	٤٧
«لا تحقرن شيئاً من المعروف»	٥١
«اللهم أحسنت خلقي»	٣٨
«ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت...»	٤٥
«ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»	١٦
«مداراة الناس صدقة»	٥٨
«من موجبات المغفرة طيب الكلام....»	٦٦
«يا أبا ذر لا تحقرن من المعروف شيئاً...»	٤١

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«يبسطني ما يبسطها»	١١
«يسرا ولا تعسرا»	١٧
«يسروا ولا تعسروا»	١٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ء ـــ		
عليك	الرخاء	عبد الله السابوري	١	٣٥
وإلى	وإخائي	أبو تمام	٣	٥٤
مالكيٌّ	ضياء	بشار العقيلي	٤	٧٣
		ـــ ب ـــ		
يريك	والقطوب	البوصيري	١	١٥
إذا مرَّ	رُعْبُ	بدوي الجبل	١	٣١
ضاحك	تنوب	أبو تمام	٢	٤٣
أضاحك	جديب	الخريمي	٢	٤٦
وإني	صاحُبه	أبو الطمحان القيني	٣	٣٧
وجوه	كواكبا	أبو تمام	١	٣٧
وتحسن	طالبا	أبو تمام	١	٤٠
إن	ترحيبا	المعري	٢	٤٩
ألا	أبى	ابن بسام	١	٦٢
أرى	صاحبه	الخريمي	١	٦٠
ومرحبٍ	ومَرْحَبِ	أبو تمام	١	٣١
إذا	ومرحب	أبو تمام	١	٥٠
أتيناك	المرحبُ	حمزة بن بيض	٢	٥١
المجد	يلعب	أبو تمام	٢	٥٧
وأخلاق	العذاب	أبو تمام	٢	٧٠
مازال	الحقب	الشريف الرضي	٢	٧٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ت ـــ		
إذا	وانطويتُ	أسامة بن مرشد	٢	٤٣
إذا	السكوتُ	الشافعي	٢	٥٧
إنك	أتى	يحيى بن الأعرابي	٢	٦٧
ألقى	البشاشات	ـــ	١	١٨
ما دمت	المداراة	أبو سليمان الخطابي	٢	٥٩
إني	بالتحيات	ـــ	٢	٥٩
وقد بلينا	الضرورات	ـــ	١	٦٠
		ـــ ح ـــ		
ولو	صفائحُ	ليلى الأخيلية	٢	٥١
ويأبى	ينضح	كشاجم	١	٦٢
وما نظرت	أملح	كثير عزة	١	٢٨
كأن	وارتياحا	بدوي الجبل	١	٢٥
حُسْنُ	الصلاحا	ـــ	٣	٣٥
قد	سماح	ـــ	١	٧٠
		ـــ د ـــ		
ذاك	كَمَدُ	بدوي الجبل	١	٢٢
يقولون	أريدُ	جميل بثينة	٢	٢٣
بتنا	يَرِدُ	بدوي الجبل	١	٢٤
حلو	الكمدُ	بدوي الجبل	١	٢٤
ليكن	الرد	دوقلة المنبجي	١	٧١
وجه	سجدا	بدوي الجبل	١	١٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
طلعة	ومجدا	بدوي الجبل	٣	٢٢
أخ	جوادا	زياد الأعجم	٤	٤٥
تنهل	وتصدى	بدوي الجبل	١	٢١
تزور	يحمد	الحطيئة	٤	٤٨
قالوا	سعودي	—	٢	٥٣
روت	الحمدِ	ابن نباتة	٢	٧٤
— ر —				
وحق	بشر	—	١	١٩
أزور	والبشر	—	٢	٢٢
وإنّ	وافر	أبو الأسود	١	٣٥
المرء	يضره	النابغة	٤	٢٥
لا يعدم	وقرا	—	١	٩
قوم	أقمارا	—	١	٣٦
أحاديثها	الدرا	أبو تمام	١	٦٩
وكأن	زهرا	بشار بن برد	١	٦٩
إذا	القرى	المعري	١	٧٤
وإذا	ببشاره	—	٢	٢٧
وندمان	خبره	كشاجم	٣	٦٤
تبسم	البشرِ	أحمد شوقي	٣	٢٣
ألا رب	بالبشرِ	أبو دلف	١	٣٤
غلامُ	البصرِ	ابن عنقاء الفزاري	٢	٣٧
ولا تسأل	الخبر	سلم الخاسر	١	٣٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
تجتلي	البدور	—	١	٦٩
إذا شئت	منظره	ابن الرومي	٢	١٧
أأبسط	منكري	عروة بن الورد	١	٣٣
سلي	ومجزري	عروة بن الورد	٢	٤١
خالق	تهرْ	طرفة بن العبد	٢	٥٥
— س —				
اسقِ	مسوسا	أبو تمام	١	٢٠
أخو البشر	عابسا	الأبرش	١	٣١
الله	العباس	ابن عبد ربه	٤	٣٣
— ض —				
ومالي	عريض	—	٢	١٨
— ط —				
تكاملت	مغتبط	أبو الشيص الخزاعي	٢	٢٦
— ع —				
ازرع	زرعا	—	١	٥٩
لقد	يصدعُ	أبو تمام	٣	٢٢
فراشي	مقنع	عروة بن الورد	٢	٦٧
— ف —				
يستأنس	الضيف	العلوي	١	٦٤
قد	واللطف	—	١	٧١
لاق	الإنصافِ	ابن وكيع	١	٢٩
وكأنهم	للأضيافِ	أبو تمام	١	٧٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ق ـ		
إنني	مشتاقُ	الأعشى	٢	٣٦
ذريني	سروق	عمرو بن الأهتم المنقري	٦	٤٩
كل	ينسحقُ	أبو العتاهية	١	٥٥
ألق	بالطلاقة	أبو علي العنزي	٢	٤٢
ولك	والأخلاق	أبو تمام	١	٢٦
يحصى	المشرقِ	أبو تمام	٢	٣٠
وما اكتسب	الطليقِ	محمد بن حازم	١	٤٢
عامل	طليق	أبو العتاهية	١	٤٢
متى	خلق	زهير	١	٧٠
		ـ ك ـ		
يا جواد	راحتيكا	ـ	١	٥٠
إذا	المسالك	شمس الدين البديري	٥	٥٢
		ـ ل ـ		
ألم	وحلول	ذو الرمة	١	٩
وقد	آلُ	أبو العلاء المعري	١	٢٠
فتى	فجميلُ	بدوي الجبل	١	٢٩
عجب	مقبل	أبو تمام	٥	٤٣
أغمض	جاهل	ثعلب	٢	٥٥
وأني	داخله	طرفة بن العبد	١	٢٤
كريم	حامله	زينب بنت الطثرية	١	٤٦
تراه	سائله	زهير بن أبي سلمى	١	٤٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ترى	هواملة	زهير بن أبي سلمى	٢	٥٠
وجهك	استهلا	—	١	٣٦
إن الكلام	دليلا	الأخطل	١	٦٨
تلقى	دليلا	أبو بكر بن دريد	١	٦٤
وجدناك	وأجملا	أبو تمام	٢	٧٣
دلّ	دليل	—	١	٣٤
إن حسن	فعال	—	٢	٣٨
يا ضيفنا	المنزل	—	١	٧٤
جميل	الزلازل	كثير عزة	١	٢٩
غمر	المال	كثير عزة	١	٣٠
ويميت	سؤاله	المتنبي	٢	٢٠
— م —				
وإذا	والتسليم	العرجي	٢	٥٤
أحب	سليمُ	—	١	٥٥
فكبر	يلومها	—	١	١٠
فباتوا	غُنما	الحطيئة	٢	٣٣
إذا	القياما	—	٢	٥٣
من	السلامة	—	١	٥٨
وإن	المتبسم	المتنبي	١	٢٠
فأحسن	منعم	المتنبي	١	٣٤
أمسى	الظلم	أبو تمام	٢	٤٦
ولي	عدمي	—	٣	٤٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
(ن)				
بني	لينُ	سفيان بن عيينة	١	٤٢
أحسن	إحسانُ	أبو الفتح البستي	٢	٦٧
وضيفك	وعونه	سهل الوراق	١	٥٣
فتى	إحسانا	ابن المعتز	١	٣٠
كأنا	الزمان	ابن المعتز	١	١٠
لا ينقرون	بالعيدان	عمران المؤدب	٢	٤١
ما لشيء	بين	البحتري	١	٥٣
خليلي	إخواني	أسامة بن منقذ	٤	٥٢

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«بشرك تحفة لإخوانك»	١٣
«حسن البشر اكتساب الذكر، والبشاشة مصيدة القلوب»	٢٩
«كفاك منظره إيضاح مخبره»	٣٩
«الكلام الحسن مصايد القلوب»	٦٨
«من بذل إليك وجهه فقد وفّاك عن نعمتك»	٣٣
«منظره ينبئك عن مخبره»	٣٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الأبشيهي، شهاب الدين أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٩.

الأصفهاني الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد:

ـ مختارات في اللغة والأدب والأخبار والنوادر، تحقيق: د. عمر الساديسي، الأردن، عمان، مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ.

ـ محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء، لبنان، بيروت، دار مكتبة الحياة.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى، شرح يوسف فرحات، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ.

البحتري، الوليد بن عبيد الله الطائي:

ديوان البحتري، دار بيروت، بيروت.

بدوي الجبل، محمد بن سليمان:

ديوان بدوي الجبل، بيروت، دار العودة، ط١، ١٩٧٨.

ابن برد، بشار:

ديوان بشار بن برد، تحقيق: بدر الدين العلوي، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٣هـ.

www.mtenback.com

أبو البركات، بدر الدين محمد الغزي:

آداب العشرة، وذكر الصحبة والأخوة، تحقيق: د. عمر موسى باشا، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

البرهان فوزي، حسان الدين الهندي:

كنز العمال في سنن الأقوال والأمثال، ضبطه: وفسر غريبه: الشيخ حياتي، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا، سوريا، حلب، مكتبة التراث الإسلامي.

البوصيري، محمد بن سعيد:

ديوانه، دار الكتب العلمية، بيروت.

الترمذي:

الجامع الصحيح، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو تمام، حبيب بن أوس:

شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد:

الصداقة والصديق، شرح علي متولي صلاح، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٧٢م

لجريري، أبو الفرج المعافى:

الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٣.

www.mtenback.com

الجلالان، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي:

تفسير الجلالين، جمع أحاديثه ورتبها: الشيخ محمود إبراهيم الصمـــادي، دمشق، المكتبة الحديثة، لات، لاط.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ـــ ديوان الحطيئة، شرح: أبي سعيد السكري، بـــيروت، دار صـــادر، ١٩٨١م.

ـــ ديوان الحطيئة، بيروت، دار الكتاب العربي.

الحموي، ياقوت بن عبد الله:

معجم الأدباء، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.

ابن حنبل، أحمد بن محمد:

مسند أحمد، الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـــ.

الخريمي، إسحاق بن حسان:

ديوان الخريمي، تحقيق: علي جواد الطاهر، وزميله، لبنان، بـــيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد:

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، بيروت، دار صادر.

ابن داوود الأصبهاني، أبو بكر محمد:

الزهرة، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي وزميله: الأردن، الزرقاء، مكتبـــة المنار، ط٢، ١٤٠٦هـــ.

www.mtenback.com

أبو داوود:

سنن أبي داوود، إعداد وتعليق: عزت الدعاس وعادل السعيد، دار الحديث، سيواري، ط١، ١٣٩٤هـ.

دندشي، حسن نمر:

معجم الأبيات الشهيرة، بيروت، لاط، لات.

الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، تحقيق: د. محمد الإسكندراني، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

الذبياني، النابغة، زياد بن معاوية:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: سيف الدين الكاتب وآخرون، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٩م.

ابن الرومي، علي بن العباس:

ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهنا، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩١م.

الزبيدي:

تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الجيل، مطبعة حكومة، الكويت، ١٩٧٧م.

الزمخشري، محمود بن عمر:

أساس البلاغة، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه: الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

www.mtenback.com

ابن سيده، علي بن إسماعيل:

المخصص، لبنان، بيروت، دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط٤، ١٩٥٤م.

الشافعي، محمد بن إدريس:

ديوان الشافعي، دار عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

ديوان الشافعي، جمعه: محمد عفيف الزعبي، بيروت، دار الجيل.

الشرباصي، أحمد:

موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين:

ديوان الشريف الرضي، بيروت، دار بيروت.

شوشة، فاروق:

أحلى عشرين قصيدة حب، القاهرة، مكتبة مدبولي، بيروت، دار العودة، ١٩٧٣م.

شوقي أحمد:

الموسوعة الشوقية، جمع إبراهيم الأبياري، دار الكاتب العربية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

أبو الشيص الخزاعي، محمد بن عبد الله:

ديوان أبي الشيص الخزاعي، صنعه: عبد الله الجبوري، لبنان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٤م.

www.mtenback.com

الصغّاني: الحسن محمد بن الحسن:

التكلمة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم راجعه، محمد مهدي علام، مصر، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين:

المخلاة، تحقيق: محمد خليل الباشا، لبنان، بيروت، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ابن العبد، طرفة:

ديوان طرفة بن العبد، بيروت، دار صادر، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه:

العقد الفريد، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، لبنان، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤١٩هـ.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم

ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لات.

أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان:

ـ ديوان لزوم ما لا يلزم، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م.

ـ ديوان سقط الزند، دار بيروت، بيروت.

عمر بن أبي ربيعة:

شرح ديوانه، شرحه وقدم له: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

أبو الفرج الأصفهاني:

الأغاني، دار الفكر، د.ت.

www.mtenback.com

الفرزدق، همام بن غالب:

ديوان الفرزدق، لبنان، بيروت، دار بيروت، ١٤٠٤هـ.

قبّش، أحمد:

مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، سوريا، دمشق، مطبعة الجهاد.

القرطبي: محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام بخاري، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٦هـ.

كثير عزة:

ديوان كثيرة عزة، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

كحالة، عمر رضا:

أعلام النساء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٤هـ.

كشاجم، محمود بن الحسين:

ديوان كشاجم، تقديم وشرح: مجيد طراد، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣م.

كعكو، أحمد حسين:

محاسن الجود والكرم، سوريا، حلب، مكتبة قباء، ط١، ١٤٠٣هـ.

المبرد، محمد بن يزيد:

الكامل، حققه وشرحه محمد أحمد الدّالي، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

www.mtenback.com

المتنبي، أحمد بن الحسين:

شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ابن المعتز، عبد الله بن المعتز:

ديوان ابن المعتز، شرحه، مجيد طراد، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

ابن معمر، جميل، بن معمر، جميل بثينة:

ديوان جميل بثينة، بيروت، دار صادر.

المقدسي، ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن:

المتحابين في الله، تحقيق: خير الدين الشريف، سوريا، دمشق، دار الصباغ، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقدسي، ابن مفلح، عبد الله بن محمد،

الآداب الشرعية، حققه شعيب الأرناؤوط، عمر القيام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ابن المقفع، عبد الله:

الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت، دار صادر، لاط، لات.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: محمد عبد الوهاب، ومحمد صادق العبيدي، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن منقذ، أسامة:

لباب الآداب، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

www.mtenback.com

المنياوي: عبد الرؤوف:

الدار المنضود، في ذم البخل، ومدح الجود، حققه: أبو الفضل الأثـــري، مصر، طنطا، دار الصحابة، ط١، ١٤١٠هـــ.

موسوعة الحديث الشريف:

الكتب الستة، بخاري، مسلم، أبو داوود، الترمذي، النسائي، ابن ماجة، إشراف: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشـــيخ، دار الســـلام للنشـــر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـــ.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.

النمري القرطبي، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيـــق: محمـــد مرسي الخولي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٢٨م.

ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن:

عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م.

ابن الورد، عروة:

ديوان عروة بن الورد، شرح: أسماء أبو بكر محمد، لبنان، بـــيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـــ.

www.mtenback.com

الوشاء، ابن يحيى، أبو الطيب محمد بن إسحاق:

الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مصر مكتبة الخـــانجي، ط٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

يعقوب، أميل:

معجم لآلئ الشعر، لبنان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٨م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com